شرح

القصيدة الحائية

لابن أبي داود

شرح فضيلة الشيخ:

صالح عبد الكريم

حفظه الله

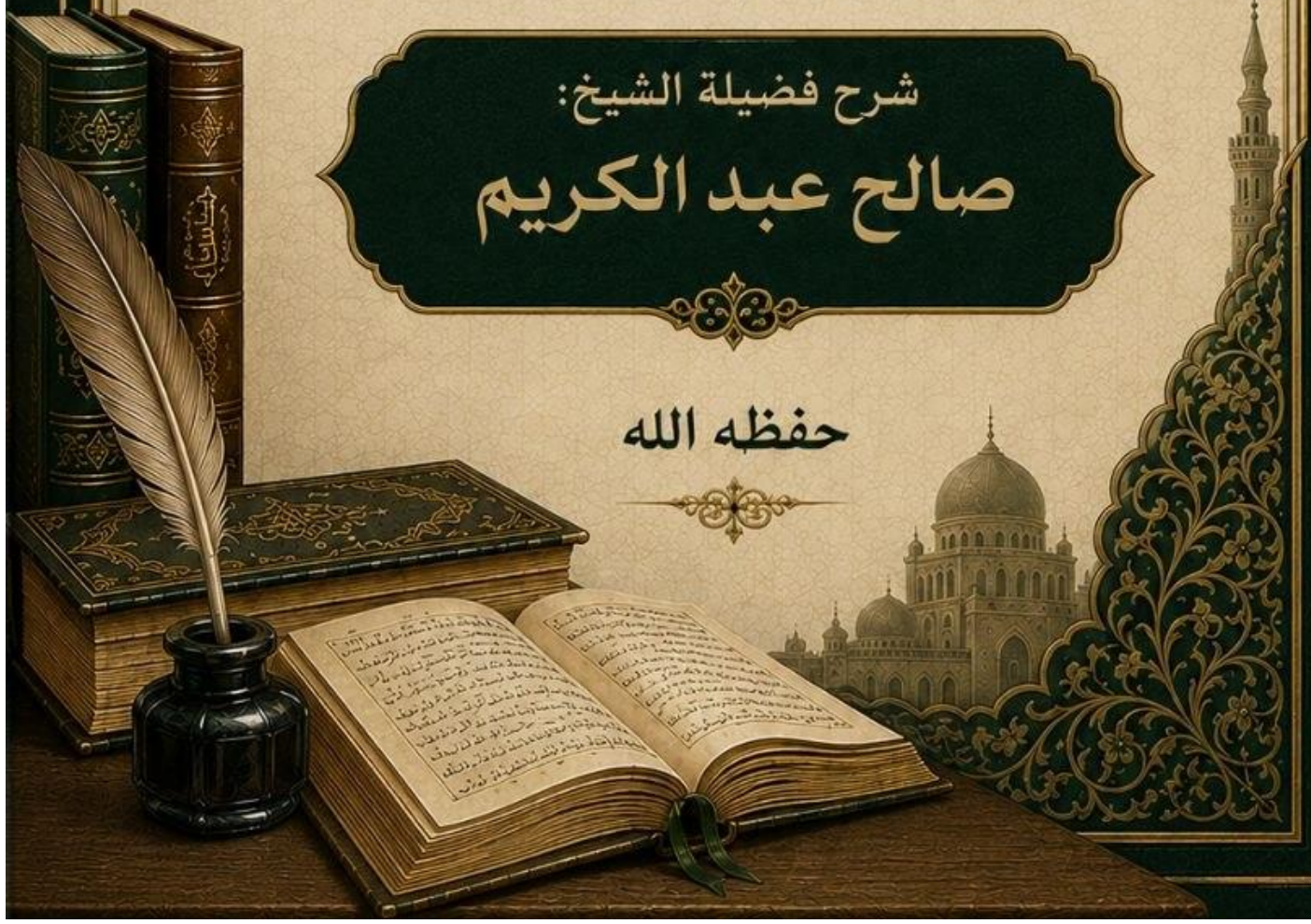

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه.

أَمَّا بَعْدُ...

فإنَّ خيرَ الكلامِ كلامُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ...

فإنَّ من أعظم ما يعتني به المرء في هذه الدنيا هي العقيدة والتوحيد لما فيه من سعادة الدارين؛ ولذلك اعتنى العلماء قديمًا وحديثًا بعلم العقيدة، فألَّفوا في هذا العلم المتون المختلفة، سواءً ما كان منها على وجه النثر، أو ما كان منها على وجه النظم، وتفاوتت المتون في العقيدة بين المتون المختصرة والمتوسطة والمطوَّلة؛ ولذلك أحببنا أن نشرع بعد ما شرحنا جملة من المنظومات في القواعد الفقهية، أن نشرح جملةً من المنظومات في باب الاعتقاد وذلك لما لها من الأهمية.

واخترنا المتن الأول من هذه المتون، وهو **"متن الحائية"**، ومتون العقيدة تحتاج إلى تركيز، ونحتاج إلى طول نفس في المسائل لأنَّها أعظم ما يحرص عليه الإنسان في باب التأصيل وما يضبطه المرء من العلوم.

ترجمة المصنف ونبذة عن المنظومة

- ونبدأ بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ في هذه المنظومة بذكر مقدمتين مهمتين:
  - المقدمة الأولى هي نُبذة عن صاحب هذا النظم.
  - والمقدمة الثانية إن شاء الله ستكون نُبذة عن المنظومة، منظومة الحائية.

معلومات عن المؤلف:

أولًا: مؤلف هذه المنظومة اسمه عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، والده: سليمان بن أبي داود، وأبو داود هو صاحب **[السنن]**، الكتب الستة: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، فصاحب هذه المنظومة هو ولد أبو داود صاحب كتاب **[السنن]**، ووالده من علماء الحديث المعروفين، وكان من الملازمين للإمام أحمد بن حنبل، وله كتاب **[السؤالات]**، كان يسأل الإمام أحمد مسائل في الحديث، فوالده –والد عبد الله صاحب هذه المنظومة– كان حريصًا على تربية ابنه عبد الله على العلم وعلى الرحلة في طلب العلم، وهذا فيه أثر البيئة التي ينشأ فيها الإنسان، يعني من يُشجِّعه في العلم، سواء والده أو إخوانه أو غيرهم.

مولده ووفاته:

وُلد الناظم في سجستان سنة مائتين وثلاثين، وتُوفي سنة ثلاثمائة وأربعة عشر، يعني من المعمَّرين نسبيًا، عاش ست وثمانين سنة، يعتبر مُعمِّر، وهو من طبقة ابن خُزيمة، ابن خُزيمة أيضًا من علماء الحديث، والطبري في نفس الطبقة، وكان صاحب شأن في العراق، إليه مرجع الفتوى، ولما تُوفي كم شخص صلَّى عليه؟ ثلاثمائة ألف شخص صلُّوا عليه في مسجد بغداد، وكانوا لا يجدون الفرصة للصلاة عليه، فقُدِّرت الجماعات بثمانين جماعة، يعني ثمانين صلاة جنازة متوالية لأنَّ المكان مزدحم.

أولاده:

مات رَحِمَهُ اللَّهُ وخلَّف ثلاثة من الأولاد وخمس من البنات.

من شيوخه:

- أبرز شيوخ الناظم: والده، أخذ الحديث عنه.
- وأيضًا من شيوخه: محمد بن بشَّار، محمد بن بشَّار هذا شيخ البخاري، مرَّ علينا في درس البخاري كثيرًا.
- وأيضًا محمد الذُهلي، محمد بن يحيى الذُهلي من شيوخه.
- ومحمد بن عبد الرحيم، وغيرهم.

ومن تلامذته:

- الآجرِّي، الإمام الآجرِّي، صاحب أي كتاب؟ **[كتاب الشريعة]**.
- وأيضًا من تلامذته: ابن بطة، أبو عبد الله بن بطة، صاحب أي كتاب؟ **[الإبانة]**، هذه من أهم كتب العقيدة، هذه الكتب الثلاثة: كتاب **[الشريعة]**، كتاب **[الإبانة]**، و**[شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة]** للالكائي، من أمهات كتب العقيدة.
- أيضًا من تلاميذه: أبو الحسن الدارقطني، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وغيرهم.

ثناء العلماء عليه:

قال الدارقطني: **"هو ثقة"**.

وقال الذهبي: **"من كبار علماء المسلمين، ومن أوثق الحُفَّاظ"**.

وقال الذهبي أيضًا: **"وكان من بحور العلم"**.

✍ وقال ابن خلِّكان: **"كان من أكابر الحُفَّاظ في بغداد"**.

✍ وقال الخطيب: **"كان فقيهًا حافظًا عالمًا"**.

✍ وقال الخلَّال أبو محمد: **"كان ابن أبي داود إمام أهل العراق، ومن نصب له السلطان المنبر"**، يعني للخطابة.

➢ رحلته في طلب العلم:

والده رحل به رحلة طويلة في المشرق والمغرب، مرَّ بخُراسان وأصفهان، ومكة والمدينة، وبغداد والكوفة، فمرَّ على كل هذه الديار ثم استوطن في بغداد، استقر في بغداد، وكان أول من سمع منه الحديث: محمد بن أسلم الطوسي، وفرِح لذلك والده؛ لأنَّه من كبار العلماء، أنَّ أول سماعه من عالم كبير من علماء الحديث.

❍ من صفاته:

ذكر العلماء في ترجمته صفتين:

الصفة الأولى: قوة الحفظ.

✍ يقول تلميذه ابن شاهين: **"أملى علينا ابن أبي داود سنين ولم أرَ في يده كتابًا"**، يعني كل الإملاء من الذاكرة، وهذا يدل على أنَّه حافظ.

أيضًا من صفاته: الهمة العالية، يقول عن نفسه -هذه قصة في الهمة العالية- قال: **"دخلت الكوفة ومعي درهمٌ واحد"**، قال: **"فاشتريت به ثلاثين مُد باقلَّاء"**، قال: **"فكنت آكل منه مدًّا"**، يعني كل يوم يأكل مد من الباقلَّاء، فقط هذا طعامه، لا لحم ولا دجاج ولا شيء، يعني هذا الخضار يأكله كل يوم قدر ورقة منها، قال: **"وأكتب عن أبي سعيدٍ الأشج"**، قال: **"فكتبت عنه ألف حديث"** يعني في يومٍ واحد، قال: **"فلمَّا كان الشهر حصل معي ثلاثون ألف حديث"**، هذا يدل على ماذا؟ همة عالية وتصبر وجلد، وهكذا طالب العلم لا بد أن يكون صبور في العلم، وإذا وجد الإنسان مشاق وتحديات يصبر وبعد ذلك يلق إن شاء الله ويجد الثمرة، ثمرة العلم.

❍ من مؤلفاته:

← ألَّف كتاب اسمه **[المسند]**.

← وكتاب اسمه **[السنن]**.

← وكتاب **[الناسخ والمنسوخ]**.

← وعنده كتاب اسمه **[المصابيح]** في الحديث.

← وكتاب **[البعث]**.

← وكتاب **[فضائل القرآن]**.

وغيرها من المؤلفات.

◄ عقيدته:

كان على عقيدة أهل السُّنة، وسوف يأتي ماذا قال هو عن هذه القصيدة، فالقصيدة فيها ظهور لمعتقد أهل السُّنة والجماعة.

⮌ مذهبه الفقهي:

ومذهبه الفقهي هو المذهب الحنبلي؛ ولذلك ترجم له الحنابلة في طبقاتهم؛ أبو يعلى، وابن مِفلح، وغيرهم من العلماء.

هذا ما يتعلق بالمؤلِف، مؤلف هذا النظم، الناظم.

❐ نأتي إلى نبذة عن النظم، عن المنظومة:

ما هو اسم الناظم؟ أول اسم ما اسمه؟ عبد الله؛ لنرى الذاكرة قوية أم لا!

هذه المنظومة اسمها **"قصيدة ابن أبي داود الحائية"**، أو تُسمى **"الحائية"**، وسبب التسمية بالحائية للروي في آخر الأبيات، أنَّها تنتهي بحرف الحاء؛ ولذلك تجدون القصائد الرائية والدالية والتائية، بحسب آخر حرف في القصيدة تُسمى القصائد، وهي من بحر الطويل، هي في علم العَروض، وتُصنف أنَّها من المنظومات القصيرة، المنظومات القصيرة أبياتها ثلاثة وثلاثون بيتًا.

في بعض النسخ فيها زيادات:

- ابن البنَّاء الحنبلي –هذا أحد شُرَّاح هذه المنظومة– زاد عليها أربعة أبيات.
- ابن شاهين في شرح كتاب [السُّنة] أوصلها إلى أربعين بيت.
- لكن الموجود في أغلب النسخ وفي كتب التراجم أنَّها ثلاثةٌ وثلاثون بيتًا.

⮌ ما هو موضوع هذه القصيدة؟ عن ماذا تتكلم هذه القصيدة؟

القصيدة ترتكز على أمرين:

- الأمر الأول: قواعد أهل السُّنة في التلقي.
- والأمر الثاني: مسائل متفرقة في العقيدة.

سوف تأتي إن شاء الله بالتفصيل.

هذه المنظومة يقول عنها الناظم، بعدما كتب هذه القصيدة، كتب في نهايتها قال: **"هذا قولي، وقول أبي"**، يعني والده على نفس العقيدة، **"وقول أحمد"**، من هو أحمد؟ أحمد بن حنبل شيخه، **"وقول من أدركنا من أهل العلم، ومن لم ندرك، فمن قال عليَّ غير ذلك فقد كذب"**؛ لأنَّه نُسب إليه أشياء فأراد أن ينفيها عن نفسه، فكتب هذه القصيدة على عقيدة أهل السُّنة والجماعة.

نسبة هذه المنظومة إلى مؤلفها تصل إلى درجة الاستفاضة والتواتر.

✍ يقول الذهبي: **"هذه القصيدة متواترة عن ناظمها"**، يعني العلماء خلفًا عن سلف يذكرون هذه القصيدة وينسبونها لابن أبي داود؛ ولذلك ذكرها جمع من أهل العلم، منهم الآجرِّي في كتاب **[الشريعة]**، ومنهم الذهبي في كتاب **[العلو]** للعلي الغفَّار، وأيضًا في كتب الطبقات، طبقات الحنابلة لأبي يعلى، ذكر نسبة هذه القصيدة لابن أبي داود، ابن شاهين وغيرهم ذكروا.

ما هي الشروح؟ هل هناك شروح لهذه القصيدة؟

نعم، من أبرز شروحها:

⇦ شرح السفاريني يقع في مجلدين مطبوع لهذه القصيدة.

وهناك ثلاث شروحات ذكرها الذهبي غير مطبوعة:

⇦ شرح الآجري.

⇦ وشرح ابن بطة.

⇦ وشرح ابن البنَّاء الحنبلي.

طبعًا حرص هؤلاء العلماء على شرح هذه المنظومة يدل على ماذا؟ قوتها، وأهميتها، وسلامتها.

أيضًا من الشروح المطبوعة للعلماء:

⇦ شرح الشيخ زيد المدخلي، شرح مطبوع.

⇦ كذلك من الشروح المطبوعة: شرح الفوزان، الشيخ صالح الفوزان.

⇦ وأيضًا هناك شرح الشيخ عبد الرزَّاق العبَّاد، شرح مطبوع.

ولها شروح صوتية.

❍ مميزات هذه القصيدة:

هل هذه القصيدة لها مميزات تميزها عن غيرها؟

من مميزات هذه القصيدة: أنَّها من المنظومات في القرون المتقدمة، يعني منظومة في القرن الثالث تبين عقيدة أهل السُّنة والجماعة، يعني حتى ما يقول قائل: أنَّ الآن المنظومات أو الكتب متأخرة وكلام المتأخرين، لا، هذا في القرون الأولى، من أوائل المنظومات في العقيدة، وهذا يجعل له مكانة.

أيضًا: تلقي العلماء لها بالقبول وحرصهم على الاستشهاد بها، كثير ما تجدون في كتب العقيدة الكبيرة يستشهدون بهذه المنظومة، سواء الآجري أو غيره، ابن بطة وغيرهم يستشهدون بكلامه.

أيضًا من مميزات هذه القصيدة: مكانة الناظم، يعني مكانته العلمية وقوته العلمية، يعني لدرجة بعض أهل العلم فضَّله على والده في العلم والمكانة، مع أنَّ والده عَلَم، ولكن فضَّلوه لما تميز به.

أيضًا من مميزات هذه القصيدة: وضوح المعاني وسهولة الأبيات.

نشرع في هذا النظم:

قال الناظم:

تَمَسَّكْ بحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الهُدَى ... وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ

نجد أنَّ النسخ الموجودة في الكتب لم تذكر البسملة، يعني في المخطوطات لم تذكر البسملة، ولماذا لم تُذكر البسملة، مع أنَّ من عادة أهل العلم أنَّهم يذكرون البسملة قبل بداية المصنفات والمنظومات؟ فلماذا لم تُذكر البسملة؟

السبب أنَّ هذه القصيدة وردت في ترجمته، يعني في ذكر ترجمته وسيرته، ومن عادة أهل العلم أنَّهم لما ينسبون القصائد في كتب التراجم لا يذكرون البسملة، هذا ما ذكره السفاريني، يعني من ترجم له ذكروا هذه القصائد بكاملها، وفي كتب التراجم عادةً لا يذكرون البسملة، يعني يقولون في سياق الكلام: ومن قصائده كذا، مباشرة يذكرون القصيدة.

هذين البيتين اللذين صدَّر بهما هذه المنظومة -والكلام كله سيكون عليها اليوم إن شاء الله- اللذين صدَّر بهما هذه المنظومة، هذه ثلاثة قواعد في مصادر التلقي، قواعد مهمة جدًّا، ولماذا أورد المصنف هذه القواعد؟

لأنَّ القصيدة سوف يتكلم فيها الناظم عن عقيدة أهل السُّنة والجماعة، وكيف تُتلقى العقيدة؟ ومن أين نأخذ العقيدة؟ فناسب أن يذكر قواعد في مصادر التلقي، ثلاثة قواعد من مصادر التلقي عند أهل السُّنة قبل أن يشرح عقيدة أهل السُّنة والجماعة.

سنذكر أول شيء:

- تفكيك الأبيات.
- الفوائد حول الأبيات.
- ثم نشرح القواعد التي ذكرها.

في البيت الأول قال: (تَمَسَّكْ): فعل أمر، ومعنى التمسك هنا هو الاعتصام، معناه الاعتصام، وهذا ذكره الفيومي في **[المصباح المنير]**، وهذه الصيغة أبلغ، يعني لو واحد قال: أمسك، وواحد قال: تمسَّك، أيُّهما أبلغ؟ الثاني، فهذه الصيغة فيها مبالغة في التمسك.

قال: (تَمَسَّكْ بحَبْلِ اللهِ)، ما المقصود بـ"حبل الله"، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٠٣]؟

◄ ذكر علماء التفسير عدة معاني لـ "حبل الله":

✍ **القول الأول**: قول ابن عبَّاس، قال: **"حبل الله: دين الله"**، أي: تمسَّكوا بالدين، هذا القول الأول.

✍ **القول الثاني** لعبد الله بن مسعود، قال: **"حبل الله: الجماعة"**.

✍ **القول الثالث**: قول مجاهد وعطاء، قالوا: **"حبل الله: عهد الله"**.

✍ **القول الرابع**: أنَّ **"حبل الله هو القرآن"**، وهذا قول قتادة والسُّدي، وقاله أيضًا ابن مسعود.

✍ يعني ابن مسعود كم قول له؟ قولان؛ الجماعة والقرآن.

✍ **القول الخامس**: قول مقاتل بن حيَّان، قال: **"حبل الله أي بأمر الله وطاعته"**.

↵ **هل ممكن "حبل الله" يُحمل على كل هذه المعاني؟**

نعم، القاعدة في التفسير: **"أنَّ الشيء إذا أمكن تفسيره على عدة معانٍ من غير تعارض حُمل عليه"**، هذه قاعدة في التفسير، فكل هذه المعاني صحيحة ثابتة، وتُفسَّر حسب السياقات.

فهنا (تَمَسَّكْ بحَبْلِ اللهِ) يحتمل أمرين:

- يحتمل تمسك بدين الله الذي هو القرآن والسُّنة، فيكون ما بعده (وَاتَّبِعِ الهُدَى) تأكيد، يعني الأول: (تَمَسَّكْ بحَبْلِ اللهِ) القرآن والسُّنة، ثم أكَّد التمسك بالسُّنة قال: (وَاتَّبِعِ الهُدَى)، هذا التفسير الأول.
- الثاني، وهو أقرب للسياق: أنَّ قوله: (تَمَسَّكْ بحَبْلِ اللهِ): القرآن، ثم (وَاتَّبِعِ الهُدَى)، يعني السُّنة، فذكر القرآن والسُّنة، وهذا الأقرب في هذا السياق، والقصد منه: التمسك بالقرآن والسُّنة.

✍ وما أعظم ما قاله الأوزاعي! أثر عظيم، قال: **"ندور مع القرآن والسُّنة حيث دارت"**، هذا الامتثال والتمسك، الإنسان يتمسك بالقرآن والسُّنة.

قال: **(وَاتِّبِعِ)**، الاتِّباع هو الاقتداء في الفعل وفي القصد، **(الهُدَى)**، ما المقصود بالهدى؟

✍ **(الهُدَى)** يقول شيخ الإسلام ابن تيمية تعريفه: **"ما ينتفع به الناس ويحتاجون إليه"**.

المراد بـ**(الهُدَى)** هنا السُّنة، ما الدليل؟ من يذكر لنا الدليل؟ دائمًا تسمعونه، بداية كل درس تسمعون الخطبة: **"وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"**، وفي رواية: **"وخيرُ الهدى"**، جاء بالروايتين والضبطين، فالهدى المراد به: السُّنة.

والهدى والهداية كما يُذكر دائمًا في الفوائد أنَّه على قسمين، من يذكرهم؟ ما هي أقسام الهداية؟

- ✓ هداية التوفيق.
- ✓ وهداية الإرشاد.

والتوفيق له اسم ثاني، هو هداية الإلهام، الإلهام والتوفيق، هذا الذي يكون من الله، ما يملكه البشر، ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ [القصص:٥٦]، فيكون من الله عَزَّ وَجَلَّ.

والثاني: هداية الإرشاد، هداية الدلالة، هداية البيان، كلها أسماء، وهذا المقصود في السُّنة، أنَّ السُّنة فيها هذا النوع من الهدى؛ هداية الإرشاد، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرشد، ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [الشورى:٥٢]، ثم التوفيق من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: **(وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا)**، "تَكُ" هذه أصلها تكن، لكنَّها خُففت لضرورة الشعر، **(وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا)** أصلها: لا تكن بِدعيًا، وهنا نسبة، نسب المبتدع إلى بدعته، صاحب البدعة نسبة إلى البدعة: بِدعي، والنسبة إلى السُّنة: سُنِّي، وهما متقابلان.

← البدعة، ما هو تعريف البدعة؟

البدعة في اللغة: الاختراع على غير مثالٍ سابق، **وأمَّا في الاصطلاح**: أفضل تعريف هو تعريف الشاطبي: **"طريقة في الدين تضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله"**، طريقة في الدين مُخترعة تُضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله.

طبعًا قلنا: طريقة في الدين، يعني مُخترعة في الدين؛ لنُخرج الدنيا، تُشابه الشرعية يعني الشريعة، ويُقصد بها المبالغة في التعبد لله.

والبدع عند العلماء على نوعين:

- ❖ البدع العلمية.
- ❖ والبدع العملية.

البدع العلمية هي البدع الاعتقادية، بدع الفرق.

✍ قال بعد ذلك: (لَعَلَّكَ تُفْلِحُ)، قال السِعدي: "**الفلاح هو الفوز بكل مطلوب ومرغوب، والنجاة من كل مرهوب**"، هذا تعريف للفلاح: الظفر بكل مطلوب، والنجاة من كل مرهوب، يعني ما يُخاف منه.

نلاحظ هنا: أنَّ الناظم قال: (لَعَلَّكَ)، هنا يمكن في إشكال في قوله: (لَعَلَّكَ)، **ما هو الإشكال؟**

"لعلَّ" من أساليب الرجاء، التمني، يعني يُرجى له ويُتمنى له، مع أنَّ المتمسك بالكتاب والسُّنة له الفلاح المحقق وليس على وجه التمني؛ ولذلك حمل بعض أهل العلم قوله: (لَعَلَّكَ) أنَّها للتعليل، وهذه أحد معاني "لعلَّ" في اللغة: أنَّها للتعليل، وهذا هو الأقرب.

قال: (لَعَلَّكَ تُفْلِحُ)، صاحب التمسك بالقرآن والسُّنة يُفلح، ومن خالف ذلك لا يُفلح.

✍ ولذلك يقول الإمام أحمد: "**ما ارتدى أحدٌ علم الكلام فأفلح**"، يعني سلك مسالك المتكلمين فأفلح.

✍ الإمام الشافعي لما ناقش رجل من المتكلمين قال: "**إنَّه لا يُفلح**"، قال: هذا ما يفلح؛ لأنَّ الفلاح إنَّما يكون في الكتاب والسُّنة.

وهذا المعنى الذي ذكره الناظم موجود في فواتح سورة البقرة: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:٤ – ٥]، فالمتمسك له الفلاح.

البيت الثاني قال:

وَدِنْ بِكِتَـــابِ اللهِ وَالسُّـــنَنِ الَّتِـــي أَتَـــتْ عَـــنْ رَسُـــولِ اللهِ تَـــنْجُ وَتَـــرْبَحُ

قال قوله: (وَدِنْ)، يعني أمر من دان يدين، أي تعبد بما جاء في الكتاب والسُّنة، ومعنى "دِن" هو الذل والانقياد كما ذكر ابن فارس في **[معجم المقاييس]**، أصلها الذل والانقياد.

قال: (وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ)، لماذا سُمي الكتاب؟ لأنَّه مكتوب، نقول: الكتاب، كتاب الله، ونقول: القرآن، كتاب لأنَّه مكتوب، وقرآن لماذا؟ لأنَّه مقروء، على نفس الطريقة، لأنَّه مقروء، كتاب لأنَّه مكتوب، وقرآن لأنَّه مقروء.

قال: (وَالسُّنَنِ الَّتِي)، السنن جمع سنَّة، **وهي في اللغة**: الطريقة، **وفي الاصطلاح**: ما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف، أربعة أشياء.

إذًا قال: (وَالسُّنَنِ)، عرفنا تعريف السنن، والسنن لها تقسيمات كثيرة من الشريعة أنَّ السُّنة تُقسَّم إلى:

- متواترة.
- وآحادية.

يُقال: سُنَّة متواترة وسنَّة آحادية.

قال: (أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ)، والرسول -مضى معنا- أنَّه من أُوحي إليه بشرعٍ جديد، ثم ذكر الثمرة: (تَنْجُ وَتَرْبَحُ)، ذكر أمرين:

- تنجو.
- وتربح.

تنجو من ماذا؟ من العذاب، تربح ماذا؟ النعيم، وأي نعيم؟ نعيم في الدنيا وفي الآخرة، نعيم الدنيا: السعادة التي يجدها الإنسان المتمسك بالقرآن والسُّنة، والنعيم الأخروي: ما أعدَّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الجزاء.

ما الدليل على كلام الناظم: أنَّ المتمسك بالقرآن والسُّنة ينجو ويربح؟

☜ قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨]، وأيضًا قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾ [طه:١٢٣]، كل هذه من معاني الفوز والربح.

☜ يقول عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: **"تكفَّل الله بمن حفظ القرآن وعمل بما فيه أنَّه لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة"**.

☜ ومن الآثار: **"الاعتصام بالسُّنة نجاة"**، هذا الأثر عن الزُهري.

☜ وأيضًا من الآثار الشهيرة في هذا الباب: قول الإمام مالك، قال: **"السُّنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق"**.

☜ قال شيخ الإسلام ابن تيمية مُعقِّبًا على أثر الإمام مالك: **"وهذا حق؛ فإنَّ سفينة نوح ركبها من صدَّق المرسلين"**، الذين صدَّقوا نوح، وكذلك الإنسان المصدِّق للسُّنة.

↵ نأتي إلى القواعد التي ذكرها الناظم في هذين البيتين، قواعد في مصادر التلقي:

القاعدة الأولى التي في البيت الأول: التمسك بالكتاب والسُّنة، فنبَّه أنَّ هناك مصدرين من مصادر التلقي لا ثالث لهما:

- القرآن.
- والسُّنة.

فهما يستقلان بنفسهما، القرآن والسُّنة.

هذا الأمر -التمسك بالوحي، التمسك بالقرآن والسُّنة- جاء الحث عليه في القرآن بستة طرق، حينما نتأمل في القرآن نجد ستة طرق فيها حث على التمسك بالوحي، بالقرآن والسُّنة:

الطريقة الأولى: صريح اللفظ بالتمسك، كقوله: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ [الزخرف:٤٣]، وقول الله تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ [الأعراف:١٧٠]، هذا صريح فيه لفظ ماذا؟ التمسك، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السُّنة: «تَمَسَّكُوا بِهَا»[1]، فهذا اللفظ الصريح.

الطريقة الثانية في القرآن: الاتِّباع، الدعوة إلى الاتِّباع، في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:٣].

الطريقة الثالثة في القرآن: الدعوة إلى الاستجابة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال:٢٤].

الطريقة الرابعة: الأمر بطاعة الله ورسوله، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران:١٣٢].

الطريقة الخامسة: الدعوة إلى الاعتصام، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٠٣].

الطريقة السادسة والأخيرة: التِلو للكتاب، هناك فرق بين التلاوة والتِلو، التلاوة هي القراءة، والتِلو هو الاتِّباع، فرق بينهما، كما في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [فاطر:٢٩]، ﴿يَتْلُونَ﴾ بمعنى: التِلو، أي: الاتِّباع.

هذه كلها أساليب قرآنية تؤكد الاعتصام بالقرآن والسُّنة.

حينما تتغاير كل الأساليب لتدل على معنى واحد، هذا يدل على ماذا؟ أهمية هذا الشيء، وهذه القاعدة هي قاعدة القواعد وأم القواعد وأساس القواعد، ولا ينجو الإنسان في سيره إلى الله إلا بالتمسك بالقرآن والسُّنة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) واللفظ له، وأحمد (١٧١٨٥).

كيف يحقق الإنسان هذه القاعدة؟ كيف يكون الإنسان متمسكًا بمَ؟ بالوحي، متمسكًا بالقرآن والسُّنة؟

عندنا عشرة الأشياء، إذا طبَّقها الإنسان صار محققًا للتمسك بالقرآن والسُّنة:

الأمر الأول: المبادرة في الامتثال، والصدق في العمل، عنده مبادرة، وما عنده تلكؤ وما عنده تأخر، افعل يفعل، يأتيه الأمر بالانتهاء ينتهي، عند الفعل يفعل، عند الكف ينتهي.

الأمر الثاني: محبة الوحي، وضده بغض الوحي، وهذا خطير جدًّا، فيجب على الإنسان أن يحب الوحي محبةً صادقة، القرآن والسُّنة.

ثالثًا حتى نحقق التمسك بالكتاب والسُّنة: معرفة القرآن والسُّنة، وهذا مطلب عظيم، وينبغي أن يُسخِّر الإنسان حياته لمعرفة القرآن والسُّنة؛ لأنَّه مرتبط بماذا؟ التطبيق، إذا ما تعرف كيف تُطبِّق، فهي مرتبطة ببعضها البعض.

رابعًا: التعظيم للوحي، ينظر إلى الكتاب والسُّنة بعين الإجلال.

اليوم نحن نعيش أمر خطير جدًّا: قضية الاعتراضات على القرآن والسُّنة، بعض الناس عنده جرأة، بعض الناس – والعياذ بالله– يستهزأ، يسخر بالنصوص، وهذا خطير جدًّا، والواجب هو التعظيم، لما يعرف الإنسان أنَّ هذا من كلام الله وكلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقف ويُعظِّم؛ ولذلك تجدون في تراجم الصحابة كانوا وقَّافين عند كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، مُعظِّمين، سريعي الامتثال.

خامسًا: اعتقاد أنَّ الوحي محفوظ، والوحي يشمل القرآن والسُّنة، كلاهما محفوظ، كما أنَّ القرآن محفوظ، السُّنة أيضًا محفوظة؛ لأنَّ السُّنة شارحة ومبيِّنة وموضحة للقرآن، فهذا يقتضي حفظ الاثنين.

سادسًا: اعتقاد أنَّ ما جاء في هذا الوحي هو سبب الهداية دون غيره، يعني الهداية الحقيقية إنَّما تتحقق بالوحي، ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبأ:٥٠]، فيعتقد الإنسان هذا الأمر: أنَّ هذا الوحي هو السبيل الوحيد للهداية دون غيره.

سابعًا: حمل نصوص الوحي على ظاهرها، وعكس ذلك ماذا؟ التحريف، التأويل، التلاعب، الذين يقولون: النصوص لها ظاهر وباطن، لا، يقف عند معاني النصوص، على معانيها عند العرب، مراداتها، سياقاتها، ولا يخرج عن ذلك.

ثامنًا: الثبات على ذلك، الثبات على التمسك بالقرآن والسُّنة، ممكن تعرفها أنت، لكن تعمل بها مرة ثم تتنكب عنها، ما يفيد، لا بد أنَّك تثبت على ذلك.

تاسعًا: عدم مساواة غيرها بها، هناك مصادر تلقي وهمية، غير صحيحة، لا يمكن أنَّك تجعلها في مرتبة القرآن والسُّنة، مثل المنامات، الذين يأخذون الأحكام بالمنامات، الذين يأخذون الأحكام بالعقل المجرَّد، الذين يأخذون الأحكام بالذوق،

هل ممكن نجعل هذه الأشياء مثل القرآن والسُّنة؟ أبدًا، لا يمكن أن تُساوى بها.

عاشرًا –وأخيرًا في هذا–: عدم التفريق بين القرآن والسُّنة، واعتقاد أنَّ كلاهما وحي، كما أنَّ القرآن وحي، السُّنة وحي، أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمَّن يأتي في آخر الزمان ويقول: أنَّه يأخذ بالقرآن فقط، من يُسمون اليوم القرآنيين، فالإنسان يأخذ بالقرآن والسُّنة.

القاعدة الثانية: الأخذ بالثابت من الحديث والسُّنة وترك غير الثابت، الإنسان يتحرى –وهذا ذكره الناظم– ما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولذلك جاء في الحديث: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1] ، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثًا يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ»[2] أو «الكاذبَين»، كلا الروايتين، فهناك خطورة في أخذ غير الصحيح، الحديث الغير صحيح.

- ما هي الخطورة؟

- أنَّ كثير من العقائد بُنيت على الأحاديث الضعيفة، عقائد منحرفة مبناها على حديث ضعيف.
- أيضًا خطورة هذا الأمر: أنَّ كثير من البدع التي انتشرت بُنيت على الأحاديث الضعيفة؛ ولذلك ذكر أهل العلم من القواعد في باب البدع: أنَّ كل حديث ضعيف انتشر العمل به فهو بدعة، هذا ذكره الشاطبي وغيره.
- أيضًا الأمر الثالث من الخطورة: أنَّ هناك فرق تُجيز الكذب، يقول: نكذب لأجل الدين، نكذب لأجل الرسول، فرق موجودة، وهذا خطير جدًّا؛ ولذلك كانوا يدسون الأحاديث المكذوبة والباطلة في السُّنة، لكن عاش لها العلماء وبيَّنوا هذه الأحاديث ومحَّصوها وبيَّنوا الصحيح من الضعيف.

نقف عند القاعدة الثالثة، ونُكمل إن شاء الله في اللقاء القادم.

نسأل الله أون يوفِّقنا وإيَّاكم للعلم النافع والعمل الصالح.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٢٠٢) واللفظ له، والطحاوي في ((معاني الآثار)) (٦٩٧٨) باختلاف يسير، ومسلم (٤) وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم في ((مقدمة الصحيح)) (١/٨)، والترمذي (٢٦٦٢) واللفظ له، وابن ماجه (٤١)، وأحمد (١٨٢٤٠)، وصححه الألباني.

[المجلس الثاني]

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه.

أَمَّا بَعْدُ...

فإنَّ خيرَ الكلامِ كلامُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ...

فهذا المجلس الثاني من مجالس شرح **[منظومة الحائية]** لابن أبي داود في العقيدة.

تكلمنا في اللقاء الماضي عن بعض المقدمات حول هذه المنظومة، نستذكر شيء من ذلك:

س/ ذكرنا أنَّ هذه المنظومة ترتكز على موضوعين، ما هما؟

الموضوع الأول: قواعد أهل السُّنة في التلقي.

والموضوع الثاني: مسائل متفرقة في العقيدة.

س/ ذكرنا قيمة هذه المنظومة عند أهل العلم، من يذكر لنا أمرين من قيمة هذه المنظومة؟ يعني تُجلِّي مكانة هذه المنظومة ورفعتها؟

- كونها في القرون المتقدمة، ومن أوائل ما أُلِّف في عقيدة أهل السُّنة والجماعة.
- وأيضًا مكانة المؤلف.

س/ ذكرنا أيضًا من الفوائد: أنَّ النسخ التي أوردت هذه المنظومة لم تذكر البسملة، ما السبب؟

كانت في تراجمه في سياق كتب التراجم، والعادة في كتب التراجم أنَّها لا تذكر البسملة؛ لأنَّ السياق سياق تاريخي.

س/ من يذكر لنا تعريف البدعة؟

البدعة في الاصطلاح: طريقة في الدين تضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله.

س/ وقسَّمنا البدع إلى قسمين، من يذكر؟

- ذكرنا قواعد في التلقي.
- وذكرنا قاعدة التمسك بالكتاب والسُّنة.

س/ وذكرنا أنَّ التمسك بالقرآن والسُّنة والتمسك بالوحي جاء في القرآن بأساليب وصيغ مختلفة، من يذكر اثنين منها؟

- الاتِّباع والاستمساك، اللفظ الصريح.
- والاستجابة، وغيرها.

والقاعدة الثانية من قواعد التلقي: أخذ الثابت من الحديث والسُّنة، وترك غير الثابت.

نُكمل اليوم القاعدة الثالثة من قواعد التلقي التي ذكرها الناظم في مقدمة هذه المنظومة، وهذه القاعدة هي قاعدة الحذر من البدع والإحداث، وهذه القاعدة مرتبطة بالقاعدة الأولى، وهي التمسك بالكتاب والسُّنة، التمسك الوحي؛ لأنَّ لازم التمسك بالقرآن والسُّنة هو عدم الإحداث، عدم الابتداع في دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

◄ وهذه القاعدة مهمة جدًّا، لماذا؟

لخطر البدع، خطر البدع عند العلماء تتجلى في أمور، من أبرزها أربعة:

الأمر الأول: أنَّ البدع من شرار الأمور كما وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا بالنص: البدع من شِرار الأمور، هذا يدل على خطر البدع.

الأمر الثاني في مخاطر البدعة: أنَّ البدعة تُضعف التوحيد، البدعة فيها إضعاف للتوحيد، ووجه ذلك: أنَّ تحقيق التوحيد إنَّما يكون باجتناب ما يناقضه أو يُنقصه؛ ولذلك قال أهل العلم: **"من تحقيق التوحيد ترك الشرك وترك البدع وترك المعاصي"**، فالبدع تُضعف التوحيد؛ ولذلك قال العلماء تجدون في كتب السلف أنَّهم يقولون: **"البدعة بريد الشرك"**، فهذا يُجلِّي لنا خطر البدعة، هذا الأمر الثاني.

الأمر الثالث في مخاطر البدع: أنَّ البدع تتطور، تبدأ صغيرة ثم تغدو كبيرة، تعظُم البدع؛ ولذلك في قصة الخوارج لما ذكر مبدأ عملهم: كانوا يسبحون بالحصى، وانتهى الأمر بهم الخروج بالسيف، فالبدع تبدأ صغيرة ثم تصير عظيمة كبيرة.

الأمر الرابع من مخاطر البدع: أنَّ البدع أخطر من المعاصي، **وسبب ذلك**: أنَّ صاحب البدعة يرى أنَّه على حق وأنَّه على صواب، ويتعبد الله بذلك؛ ولذلك جاء في الأثر عن سفيان: **"البدعة لا يُتاب منها، والمعصية يُتاب منها"**، لماذا؟ لأنَّ المبتدع يرى أنَّه على حق.

فهذه أربعة أمور تُجلِّي لنا خطر البدع والمحدثات.

أيضًا من الأمور حينما نتحدث عن هذه القاعدة، وهي ترك البدع والإحداث: اللوازم الفاسدة للبدعة، ذكر أهل العلم أربعة لوازم فاسدة وخطيرة للبدعة، الذي يفعل البدع ويدعو إلى البدع لا يخرج، لا يسلم من هذه اللوازم:

اللازم الأول من هذه اللوازم الخطيرة: اتِّهام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخيانة، وأنَّه ما أكمل الدين، وأنَّه ما بلَّغ هذا الدين، يعني معنى البدعة مقتضاه أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علِم فكتم، عرف الدين وكتم، وهذا الذي جاء عن الإمام مالك: **"من أحدث في الدين بدعة فقد زعم أنَّ محمدًا قد خان الرسالة"**.

أيضًا من لوازم البدع، من لوازمها الخطيرة: اتِّهام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجهل، يعني جهل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدين، وأنَّ المبتدع أعلم من النبي بالدين، يفعل أشياء وسنن وأشياء لم يفعلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هل هو أعلم أم نبي هذه الأمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

أيضًا ثالثًا من لوازم البدعة: أنَّ المبتدع أتقى من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رأى الغلو في الحديث المعروف في حديث الثلاثة نفر، قال: «**أما واللهِ إنِّي أتقاكُم للهِ**»[1]، ثم ذكر الصفات: «**أصومُ وأُفطِرُ، وأقُومُ الليلَ وأنامُ، وأتَزَوَّجُ النِّساءَ**»[2] في إنكار الغلو، لو كان خيرًا لسبقنا إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو أحرص على الحسنات وأحرص على الأجور، فهل أنت ستسبق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الأمر؟ هل أنتَ أتقى منه؟ هل أنت أحرص على الطاعات من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

اللازم الرابع والأخير من اللوازم الفاسدة: تنزيل المبتدع نفسه منزلة المشرِّع، من المشرِّع؟ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوحيٍ من الله عَزَّ وَجَلَّ، فالمبتدع يضاهي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشرِّع للأمة أحكام وعبادات، والمبتدع كذلك يُشرِّع للأمة عبادات وصفات لهذه العبادات.

⇦ وهذه البدع كيف نحذر منها؟

(**وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا**)، الناظم يقول: لَا تَكُن بِدْعِيًّا، كيف لا تكُن بدعيًا؟ ما هي الأمور التي تفعلها حتى تنجو من البدعة؟

هناك أمور، جملة من الأمور:

أول هذه الأمور: الحذر من التعبد على جهل، لماذا؟ لأنَّ العبادة على جهل تقود إلى البدعة، والذي يعبد الله على بصيرة ومعرفة بوجوه الاتِّباع لا يقع في هذا الأمر.

الأمر الثاني حتى لا تكون بِدعيًا وتقع في البدع: الحذر من الغلو.

الغلو بريد البدع، الذي يغلو في الدين، هذا الغلو سيقوده إلى البدع، وانظروا إلى أغلب البدع في التاريخ نشأت من هذا الأمر.

---

(١) أخرجه مسلم (١١٠٨)، وابن حبان (٣٥٣٨)، وأبو عوانة في ((المستخرج)) (٣١٠٣) بلفظه تامًا، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه (٥٠٦٣).

الأمر الثالث: الحذر من الهوى، والتجرد، الإنسان يتجرد، جاءك الأمر تقف عنده، تتوقف عنده، تتجرد للنص، ولا تبدأ تقايس بهواك وتُعمل هواك، فتنظر أنَّ هناك مجالات أخرى للعبادة ومجالات للزيادة ومجالات للإضافة، لا، أوقف هذا الهوى وتجرد للنص.

وأيضًا رابعًا: الحذر من التقليد بلا نظر.

التقليد سبب من أسباب البدع، كثير من البدع نشأت بالتوارث، ينقلها الأبناء عن الآباء، يتوارثونها تقليدًا منهم، وما يسأل، ما ينظر ما المستند؟ ما الدليل؟ ما الذي حملكم على هذا الأمر؟ بدع في العبادات وبدع في الأنكحة وبدع في أبواب كثيرة جدًّا يتناقلونها عن الآباء والأجداد.

خامسًا وأخيرًا: الحذر من الجلوس مع أهل البدع والسماع لهم وقراءة كتبهم.

النفس ضعيفة، والصاحب ساحب، والإنسان إذا جالس أهل البدع تأثر بهم، لا يأمن الزيغ، تأمن مكر الله؟! يحذر الإنسان، إذا كان الأئمة الأعلام كانوا جبال في العبادة وفي العلم، ومع ذلك تجد منهم حذر من أهل البدع وشدة النفور منهم ومن مجالسهم ومن سماع كلامهم، فأنت من باب أولى.

فإذا أراد الإنسان أن يأخذ بوصية الناظم وأن يكون بعيدًا عن البدعة وألا يكون بدعيًا، ينبغي أن يأخذ بهذه الأمور.

هذه ثلاث قواعد قدَّم بها الناظم هذه المنظومة في مصادر التلقي؛ كيف تتلقى العقيدة؟ كيف تتلقى العلم؟ من أين تأخذ العلم؟ من أين تأخذ العقيدة؟ من أين تأخذ الأحكام؟ لا بد أن تكون هذه القواعد حاضرة في ذهنك:

- تمسَّكك بالقرآن والسُّنة.
- حذرك من البدع.
- وأخذك الصحيح الثابت من السُّنة.

ثم قال بعد ذلك:

وَقُــلْ: "غَيــرُ مَخْلُــوقٍ كَــلَامُ مَلِيكِنَــا" بِــذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَــاءُ وَأَفْصَــحُوا
وَلَا تَــكُ فِــي القُــرْآنِ بِــالوَقْفِ قَــائِلًا كَمَــا قَــالَ أَتْبَــاعٌ لِجَهــمٍ وَأَسْــجَحُوا
وَلَا تَقُــلِ: "القُــرآنُ خَلْــقٌ قَرَأْتُــهُ" فَــإِنَّ كَــلَامَ اللهِ بِــاللَّفْظِ يُوضَــحُ

طبعًا في بعض النسخ: (خَلْقٌ قِرَاءَةٌ)، وبعضها: (خَلْقٌ قَرَأْتُهُ)، والمعنى متجه بالقراءتين.

قال في بداية هذا النظم: (وَقُلْ)، هي معطوفة على الأوامر السابقة، معطوفة على (تَمَسَّكْ)، معطوفة على (وَدِنْ) من الديانة، والمعنى هنا: (وَقُل) أي: اعتقد، ليس المراد به القول المجرد، وإنَّما الاعتقاد، يعني اعتقد هذا الاعتقاد في القرآن.

المصنف بعد أن ذكر قواعد مصادر التلقي انتقل إلى عقيدة أهل السُّنة والجماعة في القرآن.

❍ لماذا بدأ المصنف بذكر هذه العقيدة، عقيدة أهل السُّنة والجماعة في القرآن؟

يحتمل عدة احتمالات البدء بهذا الأمر، صفات الله كثيرة، ومسائل العقيدة كثيرة، فلماذا بدأ بذكر عقيدة أهل السُّنة والجماعة في القرآن؟

الأمر الأول والاحتمال الأول: أنَّه لما بدأ في قواعد التلقي بذكر التمسك بالكتاب والسُّنة ناسب أن يذكر عقيدة أهل السُّنة والجماعة في القرآن؛ لأنَّه قبل ذلك ذكر التمسك بالكتاب والسُّنة، وهنا عقيدة أهل السُّنة والجماعة في الكتاب وفي القرآن، هذا احتمال.

الاحتمال الثاني، وهو الأكثر: أنَّ هذه العقيدة من العقائد التي كثُر فيها الكلام والخلاف مع أهل البدع، وحصلت فيه فتنة ومحنة لأهل السُّنة؛ ولذلك خصَّها بالذكر وبدأ بها، هذا الاحتمال الثاني لعظمة هذه المسألة.

الأمر الثالث والاحتمال الثالث: أنَّه بدأ بهذه المسألة لشيوعها في زمانهم، فالمصنف كان قريبًا من زمن المحنة –محنة خلق القرآن– فناسب أن يذكر ما هو شائعٌ من في زمانهم؛ وهذا تجدونه في كتب الاعتقاد؛ أنَّه يُقدِّم ما يشيع في زمانهم، بل يذكر بعض المخالفات لأهل البدع التي تشيع في زمانهم.

قال: (وَقُلْ: غَيرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا)، المليك والملك والمالك كل ذلك ثابتٌ لله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٥]، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]، والقراءة السبعية: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦]، فهذه كلها ثابتة لله عَزَّ وَجَلَّ.

قال في هذه العقيدة:

وَقُــلْ: "غَيــرُ مَخْلُــوقٍ كَــلَامُ مَلِيكِنَــا" بِـــــــــــذَلِكَ دَانَ.....

(دَانَ) كما ذكرنا من الديانة: أنَّه يجعل هذا دينًا، (الْأَتْقِيَاءُ) وفي بعض النسخ: الأولياء، الولي هو المؤمن التقي، والتقوى: أن تعبد الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخشى عقاب الله، هذه التقوى.

قال: (وَأَفْصَحُوا)، هذه العقيدة صرَّحوا بها وأفصحوا بها في آثارهم وفي كتبهم، ويقصد بـ(الْأَتْقِيَاءُ) هنا: الصحابة والتابعين.

✍ ولذلك جاء عن سفيان الثوري يروي عن عمرو بن دينار من طبقة التابعين، يقول: "**أدركت الناس**"، التابعي إذا قال: أدركت الناس، من الذي أدركهم؟ الصحابة والتابعين، يقول: "**أدركت الناس يقولون: كل شيءٍ مخلوق إلا القرآن**"، فهذه عقيدة الصحابة والتابعين.

ولذلك لو قرأنا **[شرح اعتقاد أهل السُّنة والجماعة]** للالكائي، الدرس الماضي ذكرت ثلاثة كتب من أهم كتب العقائد في الآثار، ما هي؟ من يتذكر؟

- **[الشريعة]** للآجري.
- **[الإبانة]** لابن بطة العكبري.
- **[شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة]** للالكائي.

اللالكائي ذكر الآثار عن السلف في إثبات أنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، نقل هذه العقيدة عن أكثر من خمسمائة عالم، وهذا يدل على أنَّ هذه العقيدة هي التي كانت مقررة عند الصحابة وعند التابعين ومن بعدهم.

بدأ بذكر عقيدة أهل السُّنة والجماعة في القرآن، وقبل أن ندخل في عقيدة أهل السُّنة والجماعة في القرآن نحتاج إلى أمر أعم منه، فالطالب ينبغي أن يعرف:

- عقيدة أهل السُّنة والجماعة في الصفات.
- ثم عقيدة أهل السُّنة والجماعة في كلام الله.
- ثم عقيدة أهل السُّنة والجماعة في القرآن.

فهذا أخص شيء، الدائرة الأوسع: عقيدة أهل السُّنة والجماعة في الأسماء والصفات ثم عقيدة أهل السُّنة والجماعة في كلام الله، الكلام أوسع، القرآن من جنس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ؛ ولذلك يأتي بعد ذلك.

الأمر الأول: اعتقاد أهل السُّنة والجماعة في الأسماء والصفات مقرر، دائمًا تسمعونه: هو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من غير تحريفٍ ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، أربعة محاذير، إثبات من خلال النص؛ القرآن والسُّنة، والحذر من التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل، فيُثبت كل ما جاء في القرآن والسُّنة من الأسماء والصفات لله عَزَّ وَجَلَّ، لا تُحَرَّف: لا تُغيَّر المعاني، ولا تُعطَّل: أي لا تُنفى المعاني، ولا تُكيَّف، لا نقول: كيف؟ ما نخوض في الكيفية، ولا تُمثَّل: لا تُمثَّل صفات الله عَزَّ وَجَلَّ بصفات المخلوقين، أو العقيدة المختصرة التي تجدونها في كتب الاعتقاد: الإقرار والإمرار، نُقرُّ بها كما جاءت وتُمرُّها من غير تحريف ومن غير تعطيل.

والذين خالفوا أهل السُّنة والجماعة في هذا الباب ثلاثة طوائف:

- المعطِّلة.
- الممثِّلة.
- المحرِّفة.

هذه ثلاثة طوائف خالفت أهل السُّنة والجماعة:

الطائفة الأولى: المعطِّلة، وهم الذين ينفون الأسماء والصفات، هؤلاء خالفوا أهل السُّنة والجماعة، سواء كان تعطيل كلي، بعضهم يُنكر جميع الأسماء والصفات، أو تعطيل جزئي، يوجد فرق تقول: نحن نُثبت الأسماء لكن ما نُثبت الصفات، بعض الفرق تقول: نحن نُثبت لله سبعة صفات، بعض الفرق تقول: نحن نُثبت لله ثمانية صفات، هذه كله داخلٌ في المعطِّلة، وهم النفاة الذين ينفون الأسماء والصفات.

والطائفة الثانية: هي المشبِّهة، الذين شبَّهوا الله عَزَّ وَجَلَّ بالمخلوقين، شبَّهوا صفات الله بصفات المخلوقين.

والطائفة الثالثة: هم المحرِّفة، وهم الذين يقولون: نُثبت الأسماء والصفات لكن على غير المعنى الظاهر الموجود، يعني يأتي إلى الصفة، مثلًا يقول: أنا أُثبت، يقول: الله يتكلم لكن ليس كلام حقيقي، يقول: أُثبت لله عَزَّ وَجَلَّ الرؤية، أنَّ الله يُرى، لكن لا يُرى من جهة، هذا تحريف، يُحرِّف المعنى الظاهر على المعنى الحقيقي، وسوف يأتي إن شاء الله تفاصيل هذا الأمر.

الأمر الثاني في هذا التأصيل: الاعتقاد في صفة الكلام، وذكرنا أنَّ صفة الكلام أعم من الاعتقاد في القرآن، القرآن أخص.

أهل السُّنة والجماعة يُثبتون لله عَزَّ وَجَلَّ الكلام والحديث والقول والنداء والمناجاة، هذه الأمور الخمسة يُثبتونها لله عَزَّ وَجَلَّ:

- يُثبتون لله الكلام.
- والقول.
- والحديث.
- والنداء.
- والمناجاة.

هذه كلها جاءت في النصوص، ثابتة لله عَزَّ وَجَلَّ، وأهل اللغة يعرفون أنَّ بينها فروق طفيفة يسيرة، لكنَّها كلها ثابتة لله عَزَّ وَجَلَّ.

← ما هي عقيدة أهل السُّنة والجماعة في كلام الله عَزَّ وَجَلَّ؟

نقول: يتكلم الله بما شاء إذا شاء بحرفٍ وصوت، أربعة أشياء: أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتكلم بما شاء إذا شاء بحرفٍ وصوت، هذه عقيدة أهل السُّنة والجماعة:

يتكلم الله بما شاء: يتكلم الله بالقرآن، يتكلم الله بالتوراة، يتكلم الله بالإنجيل، يتكلم الله بالأمر، يتكلم بالنهي، وغيرها مما يتكلم الله به، بما شاء.

إذا شاء: وهذا يدل أنَّه من الصفات الفعلية الاختيارية، يتكلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متى شاء، إذا شاء يعني: متى شاء، كلَّم الله موسى، كلَّم الله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حادثة الإسراء والمعراج، يُكلِّم الله الناس في يوم القيامة، كلَّم الله الأمم الماضية، كل هذا وقت ما يشاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتكلم.

الأمر الثالث في هذه العقيدة: أنَّه بحرف، كما دلَّت السُّنة، كلام الله بحرف وصوت، «**لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(١)، فكلام الله حروف.

وكلام الله أيضًا صوت، هذا الأمر الرابع؛ ولذلك يأتي في يوم القيامة: «**إِنَّ اللَّهَ يُنَادِي بِصَوْتٍ: يَا آدَمُ، أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ**»(٢)، والأحاديث كثيرة في إثبات أنَّ كلام الله بصوت.

والكلام لا يكون إلا بصوت، لماذا؟ لأنَّ هناك من يقول: أنَّ الكلام لا يكون بصوت، الكلام يكون في النفس، الكلام النفسي، أهل السُّنة والجماعة يقولون: أنَّ الله يتكلم بحرفٍ وصوت؛ ولذلك ألَّف الإمام السجزي -إمام أهل السُّنة والجماعة- رسالة نافعة عظيمة: **[الرد على من أنكر الحرف والصوت]**، رسالة مُسندة، كلها أحاديث: **[الرد على من أنكر الحرف والصوت]**.

بعد ذلك نأتي إلى الاعتقاد في القرآن، وهو أخص -كما قلنا- من الكلام:

العقيدة فيه عند أهل السُّنة والجماعة: أنَّه كلام الله مُنزَّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، هذه عقيدة أهل السُّنة والجماعة.

كلام الله يعني: كلام الله على الحقيقة، فالقرآن كله تكلم الله به حقيقةً، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة:٢] هو كلام الله، ﴿**مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**﴾ [الناس:٦] هو كلام الله، فالقرآن كله كلام الله.

مُنزَّل: سمعه جبريل ونزَّله على محمد كما قال تَعَالَى: ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ**﴾ [النحل:١٠٢].

غير مخلوق، كلام الله غير مخلوق كما دلَّت على ذلك الآيات: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾ [التوبة:٦].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٠) واللفظ له، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٦/٢٦٣)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١٩٨٣)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).

منه بدأ وإليه يعود: الكلام بدأ من الله ردًّا على من قال: أنَّ الكلام بدأ من جبريل، أو خلقه الله في الشجرة، أو نحو ذلك، فبدأ من الله عَزَّ وَجَلَّ.

إذًا قلنا: من عقيدة أهل السُّنة والجماعة: منه بدأ، أي: بدأ من الله حقيقةً، تكلم الله به حقيقةً، وهذا رد على من قال: أنَّه بدأ من جبريل، أو أنَّ الله خلقه في الشجرة، أو غير ذلك.

وإليه يعود: إليه يعود في آخر الزمان يُرفع هذا القرآن كما جاء في الأحاديث؛ في حديث ابن مسعود وغيره: "**يُسرى على في ليلة فيُنزع من القلوب ويُؤخذ من المصاحف، فيعود إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**"، أو يعود إليه من جهة الصفة، أنَّها صفة متمحضة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

المصنف في هذه الأبيات الثلاثة ذكر ثلاثة بدع في القرآن، البدع العقدية تُجاه القرآن:

- البدعة الأولى هي بدعة الجهمية، وهي القول بأنَّ القرآن مخلوق.
- والبدعة الثانية هي بدعة الواقفية، الذين توقفوا في القرآن كما سوف يأتي.
- والبدعة الثالثة هي بدعة اللفظية، الذين قالوا: لفظي بالقرآن مخلوق.

فأول بدعة تكلم عليها الناظم في هذه الأبيات هي بدعة القول بخلق القرآن؛ ولذلك قال: **(وَقُلْ: غَيرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا)**، من أين أتت هذه البدعة؟

من أشهر هذه البدعة هم الجهمية، وعلى رأسهم الجهم بن صفوان الذي تُنسب إليه الجهمية، والجهم بن صفوان أخذ هذه العقيدة من الجعد بن درهم، فأول من قال بخلق القرآن في المسلمين هو الجعد بن درهم، ولكن لم ينتشر على لسانه؛ لأنَّه تصدَّى له ولاة أهل السُّنة في ذلك الزمان وقطعوا دابره، لكنَّ الجهم بن صفوان أخذ هذه العقيدة.

ولماذا قالوا بأنَّ القرآن مخلوق؟

هو مرتبط بنفي صفة الكلام عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهم من النفاة المعطِّلة، يقولون: لا نُثبت لله عَزَّ وَجَلَّ صفة الكلام، لماذا ما تُثبتون لله عَزَّ وَجَلَّ صفة الكلام؟ قالوا: حتى لا نشابه الله بالبشر.

إذًا هذا منشأ القول، منشأ قول خلق القرآن: نفي صفة الكلام لله عَزَّ وَجَلَّ حتى لا يُشابه البشر، هذه شُبهتهم، وهذا القول انتشر وقوي في الخلافة العباسية إبان العناية بكتب الفلاسفة وترجمتها، هذه فتنة عظيمة؛ فتنة القول بخلق القرآن، استمرت في الخلافة العبَّاسية عشرين سنة، من سنة ثمانية عشر ومائتين إلى ثمانية وثلاثين ومائتين، عشرين سنة، ومن خلال أربعة خلفاء استمرت هذه العقيدة: المأمون، ثم المعتصم، ثم الواثق، وكان أشدهم في إلزام الناس بهذه العقيدة، ثم المتوكل، وفُرِّج في زمنه ورفع البلاء والمحنة عن أهل السُّنة.

ابتُلي الناس بالجهمية وكانوا مقربين من ولاة الأمر، فأخذوا يُلزمون الناس بهذه العقيدة ويختبرون الأئمة والعلماء ويسجنونهم ويعذبونهم، قُتل من قُتل من العلماء، وصارت عقيدةً تُعلِّم للناس في الكتاتيب، في حِلق التحفيظ يُعلِّمون الناس هذا الأمر.

تعرفون قصة ابن نصر الذي ثبت في هذه الحادثة في زمن الواثق، لما ناقش الواثق عن هذه العقدية وأثبت أنَّ القرآن كلام الله، شجَّعه الجهمية الذين معه على قتله، فقام الواثق بنفسه بخنقه، وحتى قام أحدهم وضرب عنقه، وأرادوا أن يُنفِّروا الناس فصلبوه صلب ما مر بالتاريخ، وضعوا رأسه في سامرَّاء وجسده في بغداد لمدة ست سنوات حتى لا تدين الناس بعقيدة أهل السُّنة والجماعة، وهذه المحنة التي ثبت فيها الإمام أحمد بن حنبل، ثم فُرِّج عن أهل السُّنة والجماعة في زمن المتوكل، وكان سنِّيًا ونصر هذه العقيدة وكبت من قال بخلاف ذلك، حتى ظهرت تلونات أهل البدع، فظهرت الأقوال التي ذكرها المصنف، البدع: بدعة اللفظية والواقفية.

❍ هل القول بخلق القرآن قضية تاريخية وانتهت كما يقول البعض اليوم؟

لا، القول بخلق القرآن مستمر، وله دعاة، وهناك من ينشر الشبه في تعضيد هذه البدع وفي هذه الشبهة، والبعض يقول: لماذا طرح هذا الموضوع ولماذا تضخيمه؟! هذه حقبة تاريخية وحقبة سياسية، ولا يحتاج أنَّنا نأتي ونُعيد الكلام حول مسألة القول بخلق القرآن في ذاك الزمان.

❐ هل هذا القول –القول بخلق القرآن– خطير؟ هل له لوازم فاسدة؟

نعم، نذكر بعض مخاطر هذا القول حتى لا يغتر الإنسان بشبهة من يُهوِّن بهذه البدعة الخطيرة، منها:

أولًا، أول هذه المفاسد: أنَّ البعض يتكئ على هذا القول للتحلل والانفساخ، لماذا؟ القرآن إذا قلت: أنَّه ليس كلام الله، فخلاص ما يلزمني أنِّي أتَّبع وأمتثل وأنتهي، فيفتح على الناس هذا الأمر: التحلل؛ ولذلك ينص عليه بعض دعاة التحلل من الحداثيين وغيرهم.

أيضًا الثاني من المفاسد: أنَّه يتضمن الكذب على الله، أنت تنفي صفة أثبتها الله لنفسه، افتيات على الله، تكذيب للنص، الله يُثبت لنفسه وأنت تنفي، ففيه كذب، تكذيب بالنصوص.

الأمر الثالث: أنَّ فيه انتقاص لله عَزَّ وَجَلَّ العظيم، وفيه تشبيه لله بالجامدات التي لا تتكلم.

يا إخواني، في البشر إذا الواحد ما يتكلم هذه صفة عيب، عي عند العرب في الشخص، كيف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تنفي عنه الكمال، كمالات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟!

أيضًا من مفاسد هذا القول: أنَّ فيه قدح في الربوبية، قدح في ربوبية الله عَزَّ وَجَلَّ، كيف فيه قدح في ربوبية الله؟ لأنَّ الله يخلق بكلامه، وأنت تقول: الله ما يتكلم، الله يقول للشيء: كن فيكون، بكلامه، وأنت تنفي عنه مثل هذا الأمر.

أيضًا من المفاسد: أنَّ فيه قدح في الألوهية، قدح في ألوهية الله عَزَّ وَجَلَّ، الإله لا بد أن يتكلم، الإله الذي لا يتكلم ليس بإله؛ ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن لما ردَّ على من اتَّخذ العجل قال: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا**﴾ [الأعراف:١٤٨]، وهؤلاء يقولون: الله لا يتكلم!

أيضًا القول بخلق القرآن ذريعة للاستهانة به وتحقيره؛ لأنَّه يقول: مخلوق من مخلوقات الله، مثل بقية المخلوقات؛ الحجر مخلوق، والشجر مخلوق، فمخلوق من المخلوقات؛ ولذلك ثبتت في التاريخ بعض المواقف من الاستهانة بالقرآن لأمثال هؤلاء.

أيضًا من المفاسد: أنَّه ذريعة لنفي القدسية، قدسية القرآن أنَّه ما فيه خلل وما فيه خطأ، ومن عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، اليوم عندنا جماعات وطوائف يقولون: القرآن كتاب تراثي مثل بقية الكتب؛ ولذلك يقول: يجوز فيه النقد، كتاب تراثي مثل بقية الكتب، ويأتون بالقراءة الجديدة التي يُطلقونها.

أيضًا من اللوازم الفاسدة: أنَّ لازمه إسقاط شريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورسالته؛ لأنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقيقة رسالته ماذا؟ إبلاغ كلام الله، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كان يعرض نفسه في المواسم -كما في مسند الإمام أحمد- ماذا كان يقول للناس؟ يقول: «**أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي، فَإِنَّ قُرَيْشًا مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»(١)، أنت تنفي رسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما تقول: أنَّ الله لا يتكلم، أي كلام يُبلِّغه إذا كان الله عَزَّ وَجَلَّ غير متكلم؟!

أيضًا من المفاسد -تاسعًا: يلزم منه أنَّه أعلم من الله عَزَّ وَجَلَّ بصفاته، الله أعلم بصفاته؛ ولذلك أثبت له الصفات في القرآن والسُّنة، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أنا متكلم، يأتي واحد ويقول: لا، أنت لست متكلم، هل أنت أعلم من الله بالله؟! هذا من لوازمه الفاسدة.

أيضًا من لوازمه الفاسدة: الخوض في الغيبيات والتخرص في الغيب.

الأسماء والصفات توقيفية، مبناها على الغيب، ما تُثبت إلا بالنص، إذا فتحنا هذا الباب، كل واحد يقول: أنا أُثبت لله عَزَّ وَجَلَّ ما أشاء وأنفي عن الله عَزَّ وَجَلَّ ما أشاء.

هذه عشرة لوازم فاسدة لهذا القول الخطير، وهو القول أنَّ القرآن مخلوق، والقرآن الأصل أنَّه كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

نكتفي بهذا القدر من التعليق على هذه المنظومة.

نسأل الله أن يوفِّقنا وإيَّاكم للعلم النافع والعمل الصالح.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٧٧٢٧)، وابن ماجه (٢٠١)، وأحمد (١٥١٩٢).

[المجلس الثالث]

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه.

أَمَّا بَعْدُ...

فإنَّ خيرَ الكلامِ كلامُ اللهِ، وخيرَ الهديِ هديُ محمدٍ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ...

فنستأنف شرح **[منظومة الحائية]** لابن أبي داود، وهذا المجلس الثالث.

نستذكر بعض الأشياء التي ذكرناها في اللقاء الماضي:

س/ ذكرنا القاعدة الثالثة من قواعد التلقي، وهي الحذر من البدع والإحداث، وذكرنا أنَّ الإحداث في الدين والبدع له لوازم فاسدة، من يذكر لازمين من هذه اللوازم الفاسدة للبدع والإحداث؟

- اتهام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخيانة.
- واتهام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجهل.

س/ أيضًا ذكرنا من الأشياء: قول الناظم: (وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا)، ذكرنا المسالك والأمور التي يحصِّل به المرء اجتناب البدع والوقوع في البدع، من يذكر لنا أمرين من هذه الأمور التي تحفظ الإنسان من الإحداث؟

الحذر من مجالسة أهل البدع.

س/ ثم ذكرنا ما يتعلق بإثبات عقيدة أهل السُّنة والجماعة في القرآن وفي كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، ما هي عقيدة أهل السُّنة والجماعة في كلام الله؟

الله يتكلم بما شاء كيف شاء بحرفٍ وصوت.

س/ وما هي عقيدة أهل السُّنة والجماعة في القرآن؟

س/ ثم ذكرنا لوازم فاسدة للقول بخلق القرآن، من يذكر شيء من هذه اللوازم؟

س/ ذكرنا الفرق والطوائف المخالفة لأهل السُّنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، من هي هذه الطوائف؟ في الأسماء والصفات عمومًا، وليس في القرآن؟

- المعطِّلة.
- المشبِّهة.
- المحرِّفة.

تكلمنا في اللقاء الماضي عن الانحراف، أنَّ المصنف ذكر ثلاثة بدع:

- بدعة خلق القرآن.
- وبدعة الواقفية.
- وبدعة اللفظية.

تكلمنا على بدعة القول بخلق القرآن.

قال الناظم بعد ذلك:

وَلَا تَـكُ فِـي القُـرْآنِ بِـالوَقْفِ قَـائِلًا كَمَـا قَـالَ أَتْبَـاعٌ لِجَهـمٍ وَأَسْـجَحُوا

هذه البدعة الثانية من البدع، وهي بدعة الواقفية.

ما هي عقيدة الواقفية، أو الواقفة؟

هم الذين يتوقفون في الحكم على القرآن، فيقولون: لا نقول هو مخلوق، ولا نقول هو غير مخلوق، وتُسمى الواقفية، وتُسمى الواقفة، وتُسمى الشاكَّة، تجدون في كتب العقائد إطلاق هذه المسميات على هذه البدعة.

◄ وما حكم قول الواقفة الذين توقفوا، قالوا: لا نقول: القرآن مخلوق ولا غير مخلوق؟

قسَّمهم أهل العلم إلى قسمين، من قال بالوقف في القرآن، قال: لا أقول: القرآن مخلوق ولا غير مخلوق، قسَّمهم أهل العلم إلى قسمين:

القسم الأول: العالم، من قال ذلك عالمًا، يعني من يعلم أنَّ القرآن كلام الله، ويعرف الحجج في ذلك ويقول بهذا القول، فهذا جهمي، له حكم الجهمية.

النوع الثاني: الجاهل، الذي يجهل الحكم، يقول ذلك جهلًا، لا يعرف العقيدة في القرآن، لا يعرف أنَّه كلام الله، فيقول: لا أدري هل هو مخلوق أو غير مخلوق! فهذا يُعلَّم وتُوضَّح له الحُجة والبرهان، فإن قَبِل، وإلا أُلحق بالجهمية.

فإذًا لدينا العالم، هذا له أنَّه يقول بقول الجهمية، كأنَّه يقول: القرآن مخلوق، الجاهل يُعلَّم ويُبين العقيدة الصحيحة في كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: **"من كان منهم يُحسن الكلام"** يعني العالم **"فهو جهمي، ومن كان لا يُحسنه، بل كان جاهلًا جهلًا بسيطًا فهو تُقام عليه الحُجة بالبيان والبرهان"**، قال: **"فإن تاب وآمن بأنَّه كلام الله تَعَالَى غير مخلوق، وإلا فهو شرٌّ من الجهمية"**.

سبب ظهور هذا القول:

لماذا ظهر القول بالوقف؟

ظهر هذا القول فرارًا من التصريح بعقيدة أهل السُّنة والجماعة، قد ذكرنا أنَّه في زمن المتوكل شاع قول أهل السُّنة والجماعة، وهو أنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، فكان الناس يُقرَّرون بعقيدة أهل السُّنة والجماعة، فهؤلاء من الجهمية أرادوا أن يفروا من التصريح، لا يريدون أن يقولوا: القرآن كلام الله، فابتدعوا هذه البدعة للفرار من التصريح بأنَّ القرآن هو كلام الله، فقالوا: لا نقول: إنَّه مخلوق ولا غير مخلوق؛ ولذلك قال الناظم:

كـــلا الفـــريقين مـــن الجهميـــة الواقفـــــون فيـــــه واللفظيـــــة

يعني كلهم يأخذون حكم الجهمية، وهنا الناظم قال: **(كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهمٍ وَأسْجَحُوا)**، ما معنى **(أَسْجَحُوا)**؟

أسجحوا يعني مالوا ولانوا؛ ولذلك جاء في بعض النسخ من المنظومة: وأسمحوا، يعني تسامحوا في هذا القول، وهو القول بالوقف، ولماذا نسبهم إلى الجهمية؟

لما قررناه: أنَّ هذا القول إنَّما أحدثه الجهمية، يعني القول بالوقف: "لا أقول: القرآن مخلوق ولا غير مخلوق" أحدثه الجهمية؛ ولذلك نسبهم إلى جهم: **(كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهمٍ وَأسْجَحُوا)**، الجهم بن صفوان كما مرَّ معنا في ذكر تاريخ نشأة القول بخلق القرآن.

ثم قال:

وَلَا تَقُـــلِ: "القُـــرآنُ خَلْـــقٌ قَرَأْتُـــهُ" فَـــإِنَّ كَـــلَامَ اللهِ بـــاللَّفْظِ يُوضَـــحُ

في بعض النسخ: **(خَلْقٌ قَرَأْتُه)**، وفي بعض النسخ: **(خَلْقٌ قِرَاءَةٌ)**، وكلاهما صحيح، المعنى واضح.

هنا أشار المصنف إلى البدعة الثالثة في الاعتقاد في القرآن.

ما هي البدعة الأولى؟ القول بخلق القرآن.

والبدعة الثانية: الواقفية، التوقف.

الثالث: اللفظية، القول باللفظ في القرآن.

❍ ما هو تعريف اللفظية؟

اللفظية هم الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، ما يقول: القرآن مخلوق، إذا قال: القرآن مخلوق، قال قولًا صريحًا، وهو قول الجهمية.

اللفظ في لغة العرب مصدر، هذا المصدر يحتمل أمرين:

- يحتمل التلفظ.
- ويحتمل الملفوظ.

التلفظ هو فعل العبد، حركة الشفاه، حركة اللسان، هذا التلفظ: حركة العبد، والإنسان وحركاته مخلوقة، التلفظ هذا فعل العبد، حركة اللسان، حركة الشفاه، المخارج، هذا تلفظ العبد، والإنسان مخلوق وحركاته مخلوقة، هذا التلفظ.

الشيء الثاني ماذا؟ الملفوظ، الملفوظ هو كلام الله، وهو غير مخلوق، يعني الإنسان لما يقرأ القرآن لديه تلفظ؛ حركات لسانه والشفاه وحركة الأسنان، هذا مخلوق، تلفظ، بماذا يتلفظ؟ بالملفوظ، وهو كلام الله، كلام الله غير مخلوق.

هم أحدثوا هذا القول، أتوا بعبارة مُوهِمة، لما يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، ماذا تقصد؟ ماذا تقصد؟

☜ إذا قصدت التلفظ، كلامك صحيح؛ فعل العبد مخلوق، أفعال العباد مخلوقة، هذه عقيدة أهل السُّنة والجماعة.

☜ إذا قصدت الملفوظ –كلام الله– فهذه هي عقيدة باطلة.

فأتوا بعبارة مُجملة، عبارة مُحتملة؛ ولذلك أهل السُّنة والجماعة قرروا في كتب العقائد عبارة جميلة، قالوا: **"الصوت صوت القاري، والقول قول الباري"**، الصوت: حركة اللسان، حركة الشفاه، هذا فعل العبد، هذا مخلوق، يرجع للقارئ، القول: الملفوظ، كلام الله، هذا غير مخلوق، وهذا الذي –إن شاء الله– سيمر علينا إذا أخذنا نظم الحافظ:

فالصَّـــوتُ والأَلْحَـــانُ صـــوتُ القـــاري لكنَّمـــا المتلـــوُّ قـــولُ البـــاري

فإذًا أتوا بهذا اللفظ المحتمل، ما السبب في هذا القول؟ هو كسابقه: أرادوا به الإيهام.

✍ يقول ابن بطة في **[الإبانة]**: **"فكنُّوا عن ذلك ببدعةٍ اخترعوها تمويهًا وبهرجةً على العامة"**، اخترعوا لفظ محتمل.

الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ حدثت له فتنة عظيمة، فتنة الإمام البخاري في هذه المسألة، لما قالوا له: ماذا تقول في كلام الله؟ فقال: **"كلام الله غير مخلوق، وألفاظ العباد مخلوقة"**، فزعموا أنَّ الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فحدثت له هذه الفتنة العظيمة من الهجر والطرد والاضطهاد وغير ذلك.

✍ ولذلك قال الإمام البخاري كما نقل عنه اللالكائي: **"من زعم أنِّي قلت: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو كذَّاب؛ فإنِّي لم أقله"**، يعني نُسب إلى الإمام البخاري هذا القول الباطل وحصلت له هذه الفتنة.

⇦ ما هو موقف أهل السُّنة من اللفظية؟

ألحقوا اللفظية بالجهمية.

✍ يقول الإمام أحمد كما في **[الإبانة]**: **"افترقت الجهمية على ثلاث فرق:**

الذين يقولون: مخلوق" يعني الذين يقولون: القرآن مخلوق.

"والذين شكُّوا"، من هم؟ الواقفة، البدعة الثانية التي ذكرناها.

"والذين قالوا: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة".

وهذه هي البدع الثلاثة التي ذكرها الناظم، يعني أشار إليها:

- بدعة القول بخلق القرآن.
- وبدعة الواقفية.
- وبدعة اللفظية.

وأيضًا جاء كما في **[شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة]** عن الرازيين، إذا قيل: الرازيان، فهما أبو زُرعة وأبو حاتم؛ ولذلك تجدون عقيدة الرازيين في كتب الاعتقاد، قال: **"من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، أو القرآن بلفظي مخلوق، فهو جهمي"**، أي عبارة من العبارات التي تدل على نفس المعنى.

وهنا حينما نذكر الواقفية واللفظية نستفيد أمرين:

الأمر الأول: البعد عن المجملات والمحتمِلات؛ ولذلك ما دخل أهل البدع إلا من خلال المجملات، العقائد تحتاج إلى وضوح وصراحة، ما تحتاج إلى إجمال، ما تحتاج إلى أشياء مُحتَمِلة.

الأمر الثاني: في هذه المواقف دلالة على حِذق وذكاء أهل السُّنة، فإنَّهم كانوا يعرفون مرامي أهل البدع، أهل البدع في عصر الإمام أحمد لما حكموا على من قال: "أنَّ القرآن مخلوق" جهمي، أحدثوا هاتين البدعتين: بدعة اللفظية والواقفية، فتفطن أهل السُّنة والجماعة أنَّهم يريدون التلاعب، وأنَّهم يريدون إخفاء عقيدة القول بخلق القرآن.

ثم قال الناظم بعد ذلك:

وَقُــلْ: يَتَجَلَّــى اللهُ لِلْخَلْــقِ جَهْــرَةً ... كَمَـا البَـدْرُ لَا يَخْفَـى وَرَبُّـكَ أَوضَـحُ

وَلَــيسَ بِمَولُــودٍ وَلَــيسَ بِوَالِــدٍ ... وَلَـيسَ لَــهُ شِــبْهٌ تَعَــالَى المُسَــبَّحُ

وَقَــدْ يُنْكِــرُ الجَهْمِــيُّ هَــذَا وَعِنْــدَنا ... بِمِصْــدَاقِ مَـا قُلْنَـا حَـدِيثٌ مُصَـرِّحُ

رَوَاهُ جَرِيــرٌ عَــنْ مَقَــالِ مُحَمَّــدٍ ... فَقُــلْ مِثْـلَ مَـا قَـدْ قَـالَ فِـي ذَاكَ

هذه الأبيات التي ذكرها الناظم تتضمن ثلاثة أشياء:

الأمر الأول في هذه الأبيات: إثبات صفة التجلي لله، وهذا فعل الرب، ليس فعل العبد، فعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تجلي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ما معنى التجلي؟

التجلي هو الظهور والبيان، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل:٢]، بعد الليل يأتي الصباح والنهار يظهر ويتضح، يتجلى للناس، التجلي صفةٌ فعليةٌ لله، يتجلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متى شاء وكيف شاء لمن شاء، صفة فعلية لله عَزَّ وَجَلَّ، يتجلى متى شاء كيف شاء لمن شاء؛ ولذلك جاء: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف:١٤٣] في قصة موسى.

التجلي لا يكون للبشر في هذه الدنيا، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى محتجبٌ عن عباده، ولا يكون إلا في الآخرة؛ ولذلك جاء في الحديث في صحيح مسلم: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعلَّموا أنَّكُم لن ترَوا ربَّكُم حتَّى تموتوا»[1] يعني: لا ترون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذه الدنيا، وإنَّما في الآخرة.

التجلي -هذه الصفة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وردت في النصوص في موضعين:

الموضع الأول: هو في عرصات القيامة.

والموضع الثاني: في الجنة.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتجلى في عرصات القيامة كما في حديث أبي هريرة الطويل، وأيضًا يتجلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الجنة.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧)، ونعيم بن حماد في ((الفتن)) (١٥١٦)، وابن أبي عاصم في ((السنة)) (٤٢٩) بلفظه، وصححه الألباني.

الأمر الثاني في هذه الأبيات: إثبات رؤية المؤمنين لربهم، وهذا فعل العبد، وقد دلَّت عليه أدلة كثيرة في القرآن والسُّنة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢ - ٢٣]، وأيضًا ما ذكره الناظم من الحديث الوارد، قال: **(وَعِنْدَنا بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ ... رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ)**، حديث جرير بن عبد الله البَجَلي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **(مُحَمَّدٍ)**: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: **(فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ)** أي: في إثبات الرؤية.

حديث جرير بن عبد الله: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لاَ تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»[1]، هذا من أصح الأحاديث، في الصحيحين وفي السنن وفي المسانيد، وجاء بألفاظ كثيرة من رواية جرير وغيره من الصحابة، وفي رواية: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ»، فشُبِّه الرؤية بوضوح رؤية القمر ورؤية الشمس، «لاَ تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»: ما يحصل لكم ضيم وتزاحم، الآن لو قلنا للناس: انظروا إلى القمر، هل يحتاجون إلى التزاحم للنظر إلى القمر؟ لا، كل واحد في مكانه ينظر إليه، فالمؤمنون يرون ربهم.

وقال في الأبيات: **(وَرَبُّكَ أَوضَحُ)** يعني: إذا كان القمر -هذا المخلوق- والشمس -وهذا المخلوق- يُرى من غير تزاحم، من غير ضيم، فكيف الله وهو أعظم وهو أكبر؟! لا شك أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرى.

وقوله: **(وَرَبُّكَ)** فيه إشارةٌ إلى الربوبية، **والربوبية عند أهل العلم على قسمين:**

- الربوبية العامة.
- والربوبية الخاصة.

الربوبية العامة هي ربوبية الرزق والخلق والإنعام، وهذه تكون لجميع خلقه، يدخل المسلم والكافر وغيرهم.

وهناك الربوبية الخاصة، وهي ربوبية الإيمان والهداية، يربي عباده بالهداية والإيمان والاستقامة، هذه خاصة، خاصة بأهل الإيمان، خاصة بأهل التقوى.

وهنا قال: **(وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ)**، "قد" هذه لما تدخل على الفعل المضارع تحتمل في لغة العرب أمرين:

- ✓ إمَّا التقليل.
- ✓ وإمَّا التحقيق والتأكيد.

وهذا يُعرف بالسياق، الآن لو أنا قلت: قد ينجح البليد، ماذا يفيد؟ التقليل، البليد في الغالب ما ينجح، لو قلت: قد ينجح المجتهد، ماذا يفيد؟ التحقيق والتأكيد.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، وأبو داود (٤٧٢٩)، وابن ماجه (١٧٧).

فهنا ماذا يفيد؟ التحقيق والتأكيد؛ لأنَّ إنكار الجهمية لهذا الأمر حتم، ما فيه شك، ليس للتقليل، هذا مُتيقن ومنقول ومقرر وشبه متواتر في النقل عنهم، ومثل هذه الاستخدامات موجودة في القرآن، سواء للتقليل أو التحقيق، على حسب السياقات.

في بعض النسخ: (**حَدِيثٌ مُصَحَّحُ**)، مُصرِّح ومُصحَّح.

رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خالف فيها فريقان.

إذًا خالف أهل السُّنة والجماعة فريقان، أهل السُّنة والجماعة –كما قلنا– يُثبتون رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ في الآخرة بالأبصار، خالف أهل السُّنة والجماعة:

♦ المعطِّلة الذين نفوا رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ في الآخرة، وهم الجهمية والمعتزلة.

♦ وأيضًا الفريق الثاني المحرِّفة من المتكلمين، قالوا: أنَّ الله يُرى لكن ليس من جهة، يعني يُرى لكن ليس من جهةٍ معينة، وهذا القول فيه تناقض كأنَّه عدم، أي شيء تريد أن تراه لا بد أن تراه من جهة، أمامك، خلفك، يمينك، شمالك، فوقك؛ ولذلك بعض أذكيائهم قالوا: لا يصلح هذا القول، وهذا القول متوافق مع قول المعتزلة، والذي قادهم إلى هذا القول –أنَّهم قالوا: أنَّ الله لا يُرى من جهة– أنَّهم يُنكرون علو الله، فإذا قلنا: أنَّ الله يُرى في جهة العلو، أثبتنا صفة العلو، ففروا من إثبات العلو إلى القول بهذا القول الغريب الذي لا تقبله العقول، والعجيب أنَّهم يقولون: نحن نحكِّم العقول ويأتون بأشياء تخالف العقول.

✍ قال بعض السلف: **"من أنكر رؤية الله حريٌ أن يُحرمها يوم القيامة"**، الجزاء من جنس العمل.

الأمر الثالث فيما ذكره الناظم: تنزيه الله عَزَّ وَجَلَّ عن النقائص، فذكر الناظم في وسط هذه الأبيات –البيت الثاني– قال:

وَلَـــيسَ بِمَولُـــودٍ وَلَـــيسَ بِوَالِـــدٍ وَلَـــيسَ لَـــهُ شِـــبْهٌ تَعَـــالَى المُسَـــبَّحُ

يصلح على الوجهين: (**المُسَبَّحُ**) و(**المُسَبِّحُ**).

هنا "المسَبِّحُ" بصيغة الفاعل: فعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما جاء في الآيات، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يسبِّح نفسه، يُنزِّه نفسه: ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [الصافات: ١٨٠]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُسبِّح نفسه، و "المسَبَّحُ" بصيغة المفعول، وهو فعل العبد: ﴿**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ [الجمعة: ١]، كلاهما صحيح.

☜ ما معنى التسبيح؟

التسبيح هو التنزيه.

☜ عن ماذا يُنزَّه الله تَعَالَى؟

يُنزَّه الله عن أمرين:

الأمر الأول: يُنزَّه الله تَعَالَى عن كل نقصٍ وعيب.

النوع الثاني: يُنزَّه الله أن يُشاركه أحدٌ في كماله، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المتفرد في الكمال، لا يمكن أن يُشارك الله عَزَّ وَجَلَّ في كمالاته؛ ولذلك استحضر لما تُسبِّح الله في عباداتك؛ في الصلاة وافي الأذكار، تذكر هذين المعنيين:

- أنَّك تُنزِّه الله عن كل نقصٍ وعيب.
- وتُنزِّه الله عن المشاركة في الكمالات.

الله له كمال العلم، ما يُشاركه أحد، الله له كمال القدرة، ما يُشاركه أحد، الحد الأدنى موجود، في إنسان عنده علم، في إنسان عنده قدرة، لكن الكمالات لله عَزَّ وَجَلَّ، الكمال المطلق لله عَزَّ وَجَلَّ، فلا يشاركه أحد في هذه الكمالات.

☜ هنا ذكر تنزيه الله عن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: كون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فرع، أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مولود، فهذا يُنزَّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنه، وهذا جاء في موضع واحد في سورة الإخلاص: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:٣]، ولم يقل أحدٌ بهذا القول كما هو معروف في الفرق.

التنزيه الثاني الذي ذكره الناظم: نسبة الولد لله، أن يكون الله والدًا، العلماء يقولون: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُنزَّه عن الأصل والفرع، لا يُنسب له لا الوالد ولا الولد.

نسبة الولد له كثير عند الفرق:

← بعض طوائف اليهود نسبوا عزيرًا أنَّه ابن الله.

← النصارى نسبوا المسيح ابنًا لله عَزَّ وَجَلَّ.

← مُشركو العرب قالوا: أنَّ الملائكة بنات الله من سروات الجن، وهذا من أقبح الأقوال؛ ولذلك أنكر الله إنكارًا شديدًا: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٠]، من أعظم الافتراء الذي كادت السماوات أن تتفطر من هذه الأقوال: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم:٩٠ - ٩١].

وحقيقة هذه الدعوى -دعوة أنَّ لله عَزَّ وَجَلَّ ولد- نكارتها وشناعتها في سلب الأحدية من الله، يعني من صفات الله عَزَّ وَجَلَّ الأحدية، الأحدية: أنَّ الله لا يشاركه أحد، فإذا أثبتَّ لله عَزَّ وَجَلَّ الولد، أثبتَّ له الشريك؛ لأنَّ الولد له نوع شراكةٍ مع الأب، فمن يقول بهذا القول -ينسب الولد لله عَزَّ وَجَلَّ- يقدح في أحدية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الله وتر، أحد، لا شريك له، مع لزوم الصاحبة وغيره.

التنزيه الثالث في هذا البيت: الشبيه، **(وَلَيسَ لَهُ شِبْهٌ)**: ليس له مثل.

جاء نفي المثل عن الله عَزَّ وَجَلَّ في القرآن: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:١١]، ﴿**فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ**﴾ [النحل:٧٤]، وجاء نفي الشبه في آثار السلف، لم يأت في النصوص، وإنَّما جاء في الآثار، والعلماء يقولون: المثل والشبه إذا اجتمعتا افترقتا وإذا افترقتا اجتمعا، يعني بينهما هذه العلاقة، فهناك فرق يسير:

الشبه: هو المشاركة في بعض الخصائص.

والمثل: هو المشاركة في جميع الخصائص.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليس له شبيه وليس له مثيل، يُنزِّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن ذلك.

❐ آخر مسألة: لماذا أورد المصنف ذكر التنزيه في سياق إثبات رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

لأنَّه مقام إثبات صفات الله عَزَّ وَجَلَّ، وإثبات الصفات من مقتضياته التي ذكرناها عدم التمثيل، وخاصةً في هذه المسألة؛ لأنَّ العلماء لما ذكروا «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ**» قالوا: إنَّ هذا تشبيه للرؤية بالرؤية، وليس تشبيه للمرئي بالمرئي، ليس تشبيه لله بالقمر، ولا تشبيه لله بالشمس؛ فالله مُنزَّهٌ عن المثيل والشبيه، هذا سبب إيراد بيت التنزيه في ثنايا ذكر إثبات الرؤية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لعلنا نقتصر على هذا القدر ونُكمل إن شاء الله في اللقاء القادم.

نسأل الله أن يوفِّقنا وإيَّاكم للعلم النافع والعمل الصالح.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.

[المجلس الرابع]

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه.

أَمَّا بَعْدُ...

فإنَّ خيرَ الكلامِ كلامُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ...

فنستأنف شرح **[المنظومة الحائية]** لابن أبي داود.

س/ تكلمنا في اللقاء الماضي عن إثبات صفة التجلي لله عَزَّ وَجَلَّ والرؤية، وذكرنا أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتجلى في موضعين، ما هما؟

س/ وذكرنا المُنكرون للرؤية، من هم المُنكرون، الطوائف التي خالفت أهل السُّنة والجماعة في مسألة الرؤية؟

س/ ماذا قال المُحرِّفة؟

س/ تكلمنا على قضية التنزيه، تسبيح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذكرنا أنَّ التنزيه على نوعين أو معنيين، ما هما؟

ننتقل بعد ذلك إلى قول الناظم:

وَقَـدْ يُنْكِـرُ الجَهْمِـيُّ أَيْضًـا يَمِينَـهُ وَكِلْتَـا يَدَيـهِ بِالفَوَاضِـلِ تَـنْفَحُ

تكلمنا أيضًا في اللقاءات الماضية في قوله: **(وَقَدْ يُنْكِرُ)**، ذكرنا أنَّ "قد" تفيد معنيين إذا دخلت على الفعل المضارع، ما هما؟

التقليل والتأكيد، وهذه السياقات -كما ذكرنا- يُراد منها التأكيد، فقال:

وَقَـدْ يُنْكِـرُ الجَهْمِـيُّ أَيْضًـا يَمِينَـهُ وَكِلْتَـا يَدَيـهِ بِالفَوَاضِـلِ تَـنْفَحُ

هذا البيت في سياق إثبات صفة اليدين لله عَزَّ وَجَلَّ.

◄ ما هي عقيدة أهل السُّنة والجماعة في إثبات اليد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

نقول: نعتقد أنَّ الله تَعَالَى متصفٌ بيدين كريمتين، كلاهما يُمنٌ في الخير والبركة، وهما مبسوطتان بالعطاء، وإحدى اليدين تُسمى اليمين، ونُثبت لله عَزَّ وَجَلَّ الأصابع والأنامل والكف، ونعتقد أنَّها من صفات الله عَزَّ وَجَلَّ الذاتية، هذه عقيدة أهل السُّنة والجماعة في صفة اليدين، فهم يُثبتون لله عَزَّ وَجَلَّ اليدين بما لها من الصفات من اليُمن والبركة والعطاء، ويُثبتون ما جاء مع اليدين من الأصابع والأنامل والكف، ويعتقدون أنَّها صفة ذاتية لا تنفك عن ذات الله عَزَّ وَجَلَّ.

❍ النصوص في إثبات صفة اليدين لله عَزَّ وَجَلَّ مطَّردة كثيرة:

✍ يقول ابن القيِّم –وهذه فائدة– قال: **"ورد لفظ اليد في القرآن والسُّنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع"**، ثم فصَّل أنَّها وردت بصيغ وأساليب متنوعة.

ꕥ فمن الأدلة على هذه الصفة:

☜ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤] إلى تمام الآية، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

☜ أيضًا قول الله عَزَّ وَجَلَّ في حكاية قصة إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، هذا صريح في إثبات اليدين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

☜ وأيضًا قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]، وهذا دليل التسمية باليمين.

في السُّنة أحاديث كثيرة جدًّا:

☜ منها: «**يمينُ الرحمنِ ملأى سحَّاءُ لا يغيضُها اللَّيلَ والنَّهارَ**»[(١)] يعني في العطاء وفي البركة، مبسوطة.

☜ وأيضًا في حديث أبي سعيدٍ الخدري: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَكونُ الأرضُ يومَ القيامةِ خُبزةً واحِدةً**» مثل الخبزة الصغيرة، «**يَتكفَؤُها الجَبَّارُ بيدِه، كما يَكفَأُ أحَدُكُم خُبزَتَه في السَّفَرِ**»[(٢)]، إذا عجن الإنسان خبزته.

☜ وأيضًا في حديث أبي هريرة: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحديث في الصدقة: «**ما تصدَّقَ أحدٌ بصدَقَةٍ من كَسْبٍ طيِّبٍ، ولا يقبَلُ اللهُ إلَّا الطيبَ، إلَّا أخذَها الرحمنُ بيمينِهِ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣)، والترمذي (٣٠٤٥) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١١٢٣٩)، وابن ماجه (١٩٧)، وأحمد (١٠٥٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

☜ ذكر الأصابع في السُّنة في حديث الحبر الشهير الذي جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إنَّ الله يضع السماء على إصبع، والأرض على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر والأنهار على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يقول بيده: «أنا المَلِكُ»(١)، فضَحِكَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وضحك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السُّنة التقريرية، إقرار لقوله، وتلا قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر:٦٧].

☜ وأيضًا جاء في الحديث: «إنَّ قُلوبَ بَني آدَمَ كُلَّها بينَ إصبَعَينِ مِن أصابِعِ الرَّحمَنِ»(٢)، هذا في إثبات الأصابع.

☜ وأيضًا من الأدلة في إثبات الأنامل لله: حديث الرؤية الشهير الذي في بدايته: «رأيتُ ربِّي في أحسنِ صورةٍ»، فذكر في الحديث: «فرأيته وضعَ كفَّهُ بيت كتِفيَّ»، قال: «حتى وجَدتُ بردَ أنامله بينَ صدري»(٣)، هذا في إثبات الأنامل لله عَزَّ وَجَلَّ.

☜ وأيضًا إثبات الكف لله عَزَّ وَجَلَّ كما في بعض ألفاظ حديث الصدقة: «فتربُو في كفِّ الرَّحمنِ حتى تَكونَ أعظمَ مِنَ الجبلِ»(٤).

هذا دلالة القرآن ودلالة السُّنة.

➢ ودلَّ عليه الإجماع، الإجماع نقله كثير من العلماء، من أبرزهم:

- ابن أبي زيد القيرواني المالكي في **[المقدمة]**، نقل الإجماع على إثبات صفة اليد لله عَزَّ وَجَلَّ.
- وأيضًا السجزي، أبو نصر السجزي في رسالته إلى أهل زبيد، نقل الإجماع على إثبات اليد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

← من المسائل الشهيرة في إثبات اليد: هل اليد الأخرى لله تُسمى شمالًا أو نقول فقط: اليد الأخرى؟

ذكرنا في العقيدة: أنَّ إحدى يديه يمين، هذا بالاتفاق، اليد الثانية هل يُقال عنها: شمال، أو يُقال: اليد الأخرى دون الوصف بالشمال؟

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٥١)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٢٣٥) واللفظ له، وأحمد (٢٢١٦٢)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

قولان لأهل العلم:

القول الأول: أنَّ كلتا يدي الله عَزَّ وَجَلَّ يمين، لا شمال فيها، وهذا قول ابن خُزيمة في كتاب **[التوحيد]**، وهو قول الإمام أحمد، وهو قول البيهقي، ومن المتأخرين: الألباني، واستدلوا بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وكِلتا يَدَيه يَمينٌ»(١)، قالوا: فيُقال: كلتا يدي الله يمين، لا يُطلق على شيءٍ منها شمال.

القول الثاني: إثبات الشمال أو اليسار، يعني تُطلق على الثانية الشمال أو اليسار، وهذا ذهب إليه الدارمي، عثمان بن سعيد الدارمي صاحب الرسائل الشهيرة في الرد على الجهمية، وأيضًا أبو يعلى الفرَّاء، وأيضًا الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأيضًا صدِّيق حسن خان القنوجي، ومحمد خليل الهرَّاس الذي شرح كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، واستدلوا بأحد ألفاظ حديث مسلم، حديث عبد الله بن عمر: «ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ»(٢)، والخلاف فيه في جهة الثبوت، هذا الحديث يرويه سالم عن ابن عمر، ويرويه عن سالم راوي اسمه عمر بن حمزة، هو الوحيد الذي تفرَّد به الرواية: «ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ»، فبعض العلماء قال: أنَّ روايته شاذة تخالف رواية البقية، ومنهم من قبِل روايته على أنَّها رواية ثقة.

❐ ثم نأتي بعد ذلك إلى المخالفون لأهل السُّنة في إثبات اليد، هناك ثلاث فرق مخالفة:

الفرقة الأولى: المشبِّهة، المشبِّهة هم من شبَّه يد الله بيد المخلوقين، المجسِّمة والمشبِّهة.

الفرقة الثانية: المعطِّلة، الذين نفوا صفة اليد، قالوا: لا نُثبت لله يدًا.

الطائفة الثالثة: المحرِّفة، الذين حرَّفوا معنى اليد، فقالوا: اليد بمعنى القدرة، وبعضهم قال: القدرة أو النعمة، هذا قول المحرِّفة، قالوا: اليد ليست المراد بها اليد الحقيقية في النصوص، وإنَّما المراد بها القدرة، أو القدرة والنعمة.

◄ والرد على من حرَّف وجسَّم ونفى في قاعدةٍ عامَّة في سائر الصفات:

يُرد عليهم أولًا بأنَّ هذا التفسير مخالفٌ لظاهر الآيات، يعني يُقال لهؤلاء -كما قال أهل السُّنة-: هل يعجز الله أن يُعبِّر بما عبَّرتم به؟! يعني هل يعجز الله أن يقول: إنَّ لي قدرة، ولي نعمة؟ لماذا يُعبِّر الله باليد؟ هذا يدل على إثبات اليد الحقيقية لله عَزَّ وَجَلَّ، فهذا الأمر الأول: أنَّ تفسير اليد بالقدرة والنعمة مخالفٌ لظاهر الآيات.

الأمر الثاني: أنَّ تفسير اليد بالنعمة والقدرة مخالفٌ لإجماع السلف، لا يُعلم عن أحد من السلف مثل هذا التفسير.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤١٢) بنحوه مختصراً، ومسلم (٢٧٨٨)،

ثم أيضًا الأمر الثالث: اللوازم الفاسدة، تيقنوا أنَّ ما من صفة من الصفات حُرِّم معناها إلا ونتج عنها لوازم فاسدة، ما في صفة من الصفات يُحرِّفونها عن معناها الصحيح إلا ولزم منها لوازم فاسدة.

من اللوازم الفاسدة -يعني نقتصر على لازمين-:

القصور في إثبات النعمة والقدرة لله، هم قالوا: أنَّ اليد معناها القدرة والنعمة، نقول: لو قلنا: أنَّ اليد بمعنى القدرة والنعمة، انتقصنا الله، كيف؟

⇦ سياق الآيات، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال في سياق قصة إبليس: ﴿**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص:٧٥]، اجعل مكان "يدي" النعمة، نعمتيّ، هل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له فقط نعمتان؟ حاشاه، نعم الله لا تُعد ولا تُحصى، اجعل مكانها "القدرة": لما خلقت بقدرتيّ، هل الله له قدرتان؟ حاشاه، فهذا لازم فاسد، أنَّك لو حرَّفت معنى اليد بمعنى النعمة والقدرة لانتقصت الله عَزَّ وَجَلَّ في النعمة المطلقة لله عَزَّ وَجَلَّ والقدرة المطلقة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

⇦ أيضًا من اللوازم الفاسدة: أنَّ اليد لو كانت بمعنى القدرة لم يكن هناك فرق بين خلق آدم وخلق إبليس، لاستطاع إبليس أن يحتج على الله ويقول: ما في فرق، خلقتني بالقدرة وخلقت آدم بالقدرة، في الآية: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص:٧٥]، لو قالوا: أنَّ معناها بالقدرة، بقدرتي، إبليس سيقول ماذا؟ أنا أيضًا مخلوق ماذا؟ بقدرتك، ما في فرق بيني وبين آدم، لكن الميزة التي ميَّزت آدم أنَّ الله خلقه بيديه.

وقال في هذه الآيات في نهاية الأبيات: (**تَنْفَحُ**) من النفح والإعطاء، وهي صفة يد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنَّها معطاءة في البذل والخير واليُمن، وفي رواية: (**تَنْفَحُ**)، وفي رواية: (**تَنْضَحُ**)، النضح من الرش والصب الذي يدل على كِثرة الخير والإعطاء.

ثم قال الناظم بعد ذلك:

وَقُـلْ يَنْـزِلُ الجَبَّـارُ فِـي كُـلِّ لَيلَـةٍ ... بِـلَا كَيـفَ جَـلَّ الوَاحِـدُ الـمُتَمَدِّحُ

إِلَـى طَبَـقِ الـدُّنْيَا يَمُـنُّ بِفَضْـلِهِ ... فَتُفْـرَجُ أَبْـوَابُ السَّـمَاءِ وَتُفْـتَحُ

يَقُـولُ أَلَا مُسْـتَغْفِرٌ يَلْـقَ غَـافِرًا ... وَمُسْـتَمْنِحٌ خَيْـرًا وَرِزْقًـا فَيُمْـنَحُ

رَوَى ذَاكَ قَـوْمٌ لَا يُـرَدُّ حَـدِيثُهُمْ ... أَلَا خَـابَ قَـومٌ كَـذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُـوا

وفي بعض النسخ: (**وَقَبَّحُوا**).

هنا انتقل إلى معتقد أهل السُّنة والجماعة في النزول:

عقيدة أهل السُّنة والجماعة أنَّ النزول صفةٌ اختيارية، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينزل متى شاء كيف شاء، وقد دلَّت على هذه الصفة الأحاديث:

فمن أشهر الأدلة وهو ما يشير إليه الناظم: حديث أبي هريرة: «**ينزلُ اللهُ كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا، حين يبقى ثلثُ الليلِ الآخرِ**»(١)، هذا الحديث من الأحاديث المتواترة، فقد رواه ثمانية عشر صحابيًا، وهذا الحديث قال عند الدارمي: "**حديث النزول أغيظ حديثٍ للجهمية، وأنقض شيءٍ لدعواهم**"؛ لقوة الحديث وتواتره وكِثرة من نقله من صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هناك مؤلَفان في صفة النزول:

- كتاب **[النزول]** لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- وكتاب **[النزول]** للدارقطني.

الإمام الدارقطني ذكر كل روايات هذا الحديث، وهو نزول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أيضًا أجمعت الأمة على إثبات هذه الصفة، ونقل الإجماع أكثر من تسعة عشر إمامًا، منهم الأوزاعي والترمذي والدارمي ومحمد بن الحسن الشيباني والصابوني في **[اعتقاد أهل الحديث]**، وابن عبد البر وغيرهم.

وإثبات هذه الصفة جاء عن الأئمة الأربعة:

قال أبو حنيفة عندما سُئل عن حديث النزول، قال: "**ينزل بلا كيف**".

وقال الشافعي: "**القول في السُّنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها، أهل الحديث الذين رأيتهم فأخذت عنهم، مثل سفيان ومالك وغيرهما: أنَّ الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء**".

وأيضًا الإمام أحمد، يقول إسحاق بن منصور الكوسج: "**قلت لأحمد: ينزل ربنا تَعَالَى كل ليلة حين يبقى ثُلث الليل الأخير إلى سماء الدنيا، أليس تقول بهذه الأحاديث؟**" قال الإمام أحمد: "**كل هذا صحيح**".

ونقل الإجماع جمع من أهل العلم، منهم ابن عبد الهادي، قال: "**واعلم أنَّ السلف الصالح ومن سلك سبيلهم من الخلف متفقون على إثبات النزول**"، وكذلك الذهبي وغيرهم.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

➢ المخالفون في هذا الباب أيضًا ثلاثة فرق:

❖ الممثِّلة الذين مثَّلوا نزول الله بنزول المخلوقين.

❖ أيضًا المعطِّلة، وهم الذين أنكروا هذه الصفة كالجهمية.

❖ أيضًا المحرِّفة –الفرقة الثالثة– من حرَّف معنى النزول، وقال: النزول هو نزول الملائكة، أو نزول الرحمة، أو نزول الأمر، حرَّفوه بثلاثة أشياء:

- بعضهم قال: نزول الملائكة.
- وبعضهم قال: نزول الرحمة.
- وبعضهم قال: نزول أمر الله.

ويُرد عليهم كما قلنا قبل قليل في اليد:

♦ أنَّ هذا أولًا مخالف لظاهر النص.

♦ وأيضًا مخالف لإجماع السلف.

♦ وأيضًا هناك لوازم فاسدة، يعني لو قالوا: أنَّ النزول نزول أمره أو رحمته، نقول: هل رحمة الله مختصة بالليل، بهذا الجزء من الليل؟

أيضًا يُقال في أمر الله: هل أمر الله مختص بهذا الجزء من الليل، يعني حتى يُخصص؟

أيضًا لفظ الحديث يرد عليهم، الحديث: «**مَن يَدعوني، فأستَجيبَ له؟**»[1]، لا يمكن أن يقول هذا إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هل الملائكة تقول: من يدعوني فأستجب له؟! الرحمة تقول؟! الأمر يقول؟! لا يستقيم مع الحديث.

وهنا قاعدة حسنة ذكرها الدارمي في كثير من مناقشاته، وهي علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفصاحته ونصحه، ثلاثة أشياء:

- علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- وفصاحته.
- ونصحه للأمة.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

فيُناقش هؤلاء، يُقال: هذا الذي تقولونه، في كل الصفات، ليس في هذه الصفة، يُقال لهم: هل علمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو لا؟ إذا قالوا: لم يعلمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا كلام خطير؛ تجهيل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا قالوا: علمه، ننتقل للأمر الثاني: إفصاحه، هل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قادر على الإفصاح بهذا الأمر أو لا؟ هل يا معشر الجهمية أنتم أفصح من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الأمر؟

إذًا نرجع إلى هذه القاعدة، وهي علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفصاحته ونصحه للأمة، فذكرنا مسألة العلم، يُقال لهم: هل علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الأمر أو لا؟ فإن قالوا: لا، فهو تجهيل، وإن أثبتوا العلم، ننتقل إلى الفصاحة، نقول: هل كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستطيع أن يفصح عن هذا الأمر أو لا؟ فإن قالوا: يستطيع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُفصح؛ فقد كان من أفصح العرب، ننتقل إلى جانب ماذا؟ النصح، إذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عالمًا قادرًا، هل نصح للأمة وبيَّن ما ذكرتموه أنتم أو لا؟ فإن قالوا: ذكره، نقول: ائتونا بحديث واحد أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسَّر النزول وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر النزول في أحاديث متعددة وسمعه منه عشرات الصحابة، ولم يُنقل عنه ما ذكرتم، فهذه قاعدة حسنة في التعامل مع منكري أو محرفي الصفات.

قال في هذه الأبيات:

وَقُـلْ يَنْـزِلُ الجَبَّـارُ فِـي كُـلِّ لَيلَـةٍ ... بِـلَا كَيـفَ جَـلَّ الوَاحِـدُ الـمُتَمَدِّحُ

(**المُتَمَدَّحُ**) و(**المُتَمَدِّحُ**)، يعني بالفاعل والمفعول كلاهما صحيح، فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يمدح نفسه ويُثني على نفسه، وأيضًا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحب أن يُمدح وأن يُثنى عليه وأن يُذكر بالخير.

فقال: (**وَقُلْ**) أي: اعتقد يا صاحب السُّنة، (**يَنْزِلُ الجَبَّارُ**)، "الجَبَّار": اسم من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿**الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ**﴾ [الحشر:٢٣] كما في الآية.

والجبَّار من أسماء الله له ثلاثة معاني:

- المعنى الأول: العلو، الجبَّار يأتي بمعنى العلو، العلي على كل شيء.
- والمعنى الثاني: القهر، فإنَّ الله هو القاهر لكل شيء.
- المعنى الثالث: أنَّ الله يجبر كل ضعيفٍ وكسير، الله يجبر القلوب المكسورة المكلومة.

فكل هذه المعاني داخلة.

وهذا النزول الذي ذكره: (**وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيلَةٍ**)، هذه أحد صور النزول، النزول ثبت لله عَزَّ وَجَلَّ في مواضع:

الأول: هذا النزول، وهو أشهرها، الذي تواتر: النزول في الثُلث الأخير من الليل.

وأيضًا مما نزل فيه النزول، النوع الثاني: النزول لفصل القضاء، وأيضًا الأحاديث فيه متواترة.

أيضًا النزول في عشية عرفة، دنو الله عَزَّ وَجَلَّ ونزوله ورد من لفظ حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الدنو، والنزول جاء من كلام أم سلمة، قال العلماء فيه: أنَّه يُحمل على الرفع؛ لأنَّ هذا من الاعتقاد، ولا يُقال من قبيل الرأي.

هنا الناظم قال: (فِي كُلِّ لَيلَةٍ)، هنا ذكر التحديد، النزول في الأحاديث -ألفاظ الحديث- جاء مطلقًا ومقيدًا، والمقيد أيضًا جاء بصور، فقد جاء في الحديث: «أنَّ اللهَ ينزلُ في كلِّ ليلةٍ»[1]، هذا مطلق وجاء مقيدًا أنَّ الله ينزل في الثلث الأخير من الليل، وجاء في رواية: أنَّ الله ينزل في الثُلث الأول، وجاء في رواية: أنَّ الله ينزل في شطر الليل، أي: نصف الليل، فوردت رواية مطلقة وثلاث روايات مقيدة:

- الثُلث الأخير.
- الثُلث الأول.
- النصف.

❍ هل بين هذه تعارض؟

لا، المطلق والمقيد، يُحمل المطلق على المقيد عند العلماء، يعني كل ليلة تُقيد بماذا؟ بالثُلث، طبعًا أقوى الروايات من جهة الثبوت والصحة هي رواية الثُلث الأخير من الليل، فتُحمل عليه: أنَّ الله ينزل في الثُلث الأخير من الليل.

طيب بقية الروايات التي جاءت: الثُلث الأول والنصف، قال العلماء: هو من باب تسمية الشيء بمقدماته، وهذا كثير، يعني الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أطلق على الزلزلة والرجفة القيامة، وهي من مقدمات القيامة، فقد يُطلق على مقدمات الشيء نفس الشيء، يعني الثُلث الأول والنصف هي قريبة من الثُلث الأخير، فهذا الإطلاق من باب إطلاق الشيء بإطلاق المقدمات وإرادة الشيء.

ثم ذكر قال: (بِلَا كَيفَ)، وهذا فيه مسائل مهمة جدًّا في مسألة الكيفية:

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

قال: (بِلَا كَيفَ)، **التكييف هنا الممنوع منه يدخل فيه ثلاثة أشياء:**

أول أمر: توهم الكيفية في القلب، أن تتوهم كيفية صفة الله عَزَّ وَجَلَّ في قلبك.

الثاني: الإخبار عن الكيفية باللسان أو بالبنان، بالجوارح، هذا داخلٌ في الكيفية الممنوعة التي ما يخوض فيها الإنسان.

الثالث: السؤال عن الكيفية، هذا أيضًا من المحذورات التي حذَّر منها السلف.

الأمر الثاني في هذه المسألة: الكيفية من علم الغيب التي لا يعلمها الإنسان، المؤمن يعرف معنى الصفات ولا يعلم كيفية الصفات؛ لأنَّها من الغيب.

أهل السُّنة –هذا الأمر الثالث– في باب صفة النزول هنا يحترزون من تعطيل النزول وتكييف النزول، وهما أمران ذكرهما الناظم، فذكر في الشطر الأول: إثبات النزول ردًّا على المكيِّفة، وفي الشطر الثاني ذكر (بِلَا كَيْف) ردًّا على المكيِّفة، فنُثبت النزول من غير تعطيل ولا تكييف.

أيضًا أهل العلم يقولون: أنَّ الرد على المكيِّفة يلزم منه الرد على الممثِّلة؛ لأنَّ كل ممثِّلٍ مُكيِّف، يعني الذين مثَّلوا صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قبل هذا التمثيل توهموا كيفية معينة في أذهانهم، لما توهموا هذه الكيفية انتقلوا إلى التمثيل، فقال هنا: (بِلَا كَيْف).

الكيفية عند أهل السُّنة والجماعة موجودة لكنَّها مجهولة؛ ولذلك الإمام مالك في القصة الشهيرة لما سأله الرجل عن الكيفية، قال: "**الكيف مجهول**"، لم يقل: الكيف معدوم، لا، الله له كيفية، صفاته له كيفية، لكنَّها غيبية، ما نعرفها، فنحن نُثبت الكيفية لكن لا نخوض في معنى الكيفية: كيف صفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ ولذلك القاعدة التي ذكرها العلماء في العقيدة: "**لا تسأل في الصفات بـ كيف، ولا تسأل في القدر بـ لمَ**"، يعني ما تقول في باب القدر: لماذا؟ لمَ هذا الأمر؟ في باب الصفات ما تقول: كيف هذه الصفة؟ كيف يتكلم الله؟ كيف ينزل الله؟ كيف يد الله؟ لا، أنت تُثبت من غير خوضٍ في الكيفيات.

والكلام عن كيفية الصفات –يقول العلماء– فرعٌ عن كيفية الذات؛ ولذلك لما يُناقشون أهل البدع، لما يأتي المبتدع يقول للسُّني: كيف صفة الله؟ فيرد عليه: كيف ذات الله؟ ذات الله ما نعرفها، غيب، كذلك صفات الله غيب، فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، كما أنَّ كيفية الذات مجهولة، أيضًا كيفية الصفات مجهولة.

بعضهم افترى على شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة، وهو ابن بطوطة الرحَّالة، ذكر أنَّه دخل دمشق ورأى شيخ الإسلام ابن تيمية يخطب على المنبر، ثم نزل من على المنبر وقال للناس: إنَّ الله ينزل مثل نزولي هذا، وهذا كذب، وابن بطوطة لما راح دمشق، ابن تيمية كان في السجن، لا منبر ولا شيء، لكن هذا من الكذب والافتراء.

قال: (جَلَّ) أي: عظُم قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن التكييف، وقال: (الوَاحِدُ) في هذا البيت من صفات الله، "الواحد" في أسماء الله يُطلق على معنيين:

- المعنى الأول: المتفرد، غير المتعدد.
- والمعنى الثاني: عدم الشريك والنظير له، ليس له نظير، ليس له مشابه.

ذكر هنا لفظة النزول التي جاءت في الحديث: (يَنْزِلُ)، ذكر البعض مسألة ألفاظ أخرى مثل: "يهبط"، الهبوط، ولفظ "يتدلى"، جاءت في المسند بعض هذه الألفاظ، واختلف العلماء في صحة هذه الألفاظ، فمن أثبت صحتها أثبتها لله عَزَّ وَجَلَّ، والاختلاف في إثباتها أو لا ما يؤثر في إثبات أصل الصفة.

نقف عند هذا القدر من التعليق.

نسأل الله أن يوفِّقنا وإيَّاكم للعلم النافع والعمل الصالح.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.

[الدرس الخامس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ...

فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ...

⇦ فنستأنِف شرح منظومة الحائية، وقد وصلنا إلى صِفة نزول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونذكر بعض الأسئلة من باب المذاكرة:

ذكرنا صفة "الجبَّار"، اسم الله عَزَّ وَجَلَّ "الجبار" ذكرنا أن له ثلاثة معاني، ما هي؟

جبر قلوب المنكسرين.

أيضًا ذكرنا أنواع من النزول ثبتت في النصوص، ذكرنا ثلاثة أنواع ما هي؟

الثلث الأخير من الليل.

وذكرنا روايات وردت مختلفة في النزول في الثُّلث الأخير من الليل ونصف الليل، كيف نجمع بين هذه الألفاظ المختلفة؟

طالب: (السؤال غير مسموع)

والإطلاق في الليل ماذا يفعل به؟ «ينزلُ اللهُ كلَّ ليلةٍ»

يُحمل المطلق على المقيَّد.

تكلمنا على مسألة التكييف؛ أنه لا يجوز التكييف في صفات الله عَزَّ وَجَلَّ، ذكرنا ثلاثة محاذير ما هي؟

طالب: (غير مسموع)

الشيخ: أحسنت! هذه المحاذير في باب الكيفية.

⇦ بعد ذلك قال الناظم تتمَّة البيت:

إلى طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ

هذا البيت يُعتبر مكمِّل للبيت السابق؛ يعني في البيت السابق ذكر (**يَنْزِلُ الجَبَّارُ**)، فهذا تتمَّة للبيت السابق، يعني متعلِّق به، فقال: (**إلى طَبَقِ الدُّنيا**).

ما هو الطَّبق؟

الطبق هو الغطاء، السَّماء غطاء للأرض، وكل سماء غطاء للسماء التي دونها.

والسَّماء الدنيا سُميت لقُربها من الأرض، سبب التسمية "سماء الدنيا"؛ لأنها قريبة من الأرض.

قال ابن كثير وابن الأثير في [النهاية]: الطبق كل غطاءٍ للشيء.

ذكر هنا صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال: (**يمُنّ**).

ما هو المنّ؟

المنّ هو البذل والعطاء والإحسان، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يمُنّ على عباده بالخيرات والهبات، وأعظم مِنَّة هي منَّة الإيمان والتوحيد؛ كما قال تعالى: ﴿**بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الحجرات:١٧].

والمنَّان في صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ضبطه: "هو الذي يُعطي النوال قبل السؤال".

هذا هو المنَّان الذي يعطيك قبل السؤال؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُغدق علينا بالفضل والخير والنِّعم التي يغرق الإنسان فيها من كثرتها.

قال: (**إلى طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ**).

والفضل: هو إعطاء الشخص فوق ما يستحق، كما ذكر ابن القيِّم: أن يُعطى الشخص فوق ما يستحق.

ثم ذكر هنا صفة السَّماء، قال: (**فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ**).

(**تُفرج**) يعني تنشق وتنفتح، وهذا فيه إشارة إلى أن السَّماء لها أبواب، وهذا دلَّت عليه النصوص؛ كما قال تعالى: ﴿**لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ**﴾[الأعراف:٤٠]، والأحاديث التي جاءت في تفتُّح أبواب السماء.

وجاء في بعض الألفاظ كما في مُسند الإمام أحمد في بعض ألفاظ حديث النزول، فيه: «ثُمَّ تُفتَحُ أبواب السَّماء»[١]. فأخذه من الحديث وما جاء في النصوص.

ثم قال:

يَقولُ : ألا مُسْـــتغفِـــرٌ يَلْـــقَ غَافِـــرًا ومُسْـــتَمنِحٌ خَـــيْرًا ورِزقًا فيُمْنَـــحُ

(يقولُ) أي: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا فيه إثبات القول لله عَزَّ وَجَلَّ وإثبات الكلام لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد مضى تفصيل هذه العقيدة.

وفيه أيضًا: الرَّدّ على مَن قال أنَّ الذي ينزل هم الملائكة، فلا يصح أن يقول المِلك مثل هذه العبارات.

فقال: **(يَقولُ: ألا مُسْتغفِرٌ)**، **(ألا)** هذه من حروف المعاني تأتي في سياقات مختلفة، هنا معناها: التحضيض، الحض على الشيء، ففيه حض على سؤال الله في الثلث الأخير من الليل وطلب المغفرة.

وهذا البيت مأخوذٌ من الحديث، نص الحديث «مَن يدْعُونِي فأَسْتَجيب لَه؟ مَن يسألُني فَأُعطِيه؟ مَن يستغفُرني فأَغْفِر لَه؟»[٢]. فهو يحُثّ على الاستغفار.

⇦ والمغفرة:

ما معنى المغفرة؟

المغفرة كما قال العلماء: "سِتر الذنب وعدم ترتُّب آثاره عليه".

⇦ أمران:

❑ **الأمر الأول: سِتر الذنب:**

أن يُستر، ما يُفضح.

❑ **الأمر الثاني: عدم ترتُّب آثار الذنب عليه:**

مِن العقوبة التي يستحقّها المذنِب.

فهو هنا يستغفر؛ أي يطلب الغفران من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

قال: (يَلْقَ غَافِرًا) والغافر من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، غافر الذنب، قابل التَّوبة.

والمغفرة صفة من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التي جاءت في النصوص الكثيرة؛ ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران:١٣٥].

قال: (ومُسْتَمنِحٌ)

المستمنح: هو الذي يطلب المِنَح، والمنح هنا هي العطايا، يطلب العطايا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ أن يسأل الله العطايا.

قال: (ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا) أي: يسأل الله الخير.

وما هو الخير؟

الخير هو اسمٌ جامعٌ لكل ما يُنتفع به.

هذا الخير؛ اسم جامع لكل ما يُنتفع به، إذا سألت الله الخير سألت كل ما فيه نفع لك.

قال: (ورزقًا) أي: يسأل الله الرزق.

الرزق عند العلماء على نوعين:

- **النوع الأول: الرزق الذي يقوم به الدِّين:**

مثل ماذا؟ العلم، الاستقامة، الهداية، العبادات؛ هذا رزق، يوفَّق الإنسان، يُرزق؛ هذه المعاني العظيمة.

- **والنوع الثاني: هو الرزق الذي يقوم به البدن:**

هذه الأشياء الموجودة في الدنيا: المطعم، والمشرب، والمسكن، والملبس، وغيرها من القوت الذي يناله الإنسان.

(فيُمنح) أي: يمنحه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حاجته ويعطيه؛ فخزائن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ملأى لا يغيضها نفقة كما جاء في الحديث.

وفي بعض النُّسخ من المنظومة (فأَمْنَحُ) البناء على الفاعل.

ثم قال بعد ذلك:

رَوَى ذَاكَ قَـــومٌ لا يُـــرَدُّ حَـــــــدِيثَهم ألا خَابَ قَـــــوْمٌ كذَّبـــوهُم وقُبِّحُوا

ذكر الناظم بعد ذلك الرواة والدليل على حديث النزول؛ قال: (رَوَى ذاك) أي: روى الحديث الوارد في إثبات نزول الله عَزَّ وَجَلَّ.

(**قومٌ لا يُردُّ حدِيثهم**) لماذا لا يُردّ حديثهم؟ **لثلاثة أمور**:

- **الأمر الأول**: لعدالتهم.
- **الأمر الثاني**: لحفظهم وضبطهم.
- **الأمر الثالث**: لكثرتهم.

فهذه الأمور اجتمعت في رواية حديث النزول.

قال: (**لا يُردُّ حدِيثهم**) يعني: حديث النزول؛ رُوَّاته أثبات، ثقات، وذكرنا أن العلماء ذكروا العدد قرابة ثمانية وعشرين من الصحابة الذين رووا حديث النزول، وهذا الحديث من الأحاديث المتواترة، وقد نصَّ العلماء في كتبهم على ذلك؛ أنه حديث متواتر، فممن نصَّ على ذلك: شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول، وأيضًا ابن القيم في [الصواعق المرسلة]، والذهبي في كتاب [العُلوّ]، والسيوطي في كتاب [الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة]، وهذا الكتاب جمع فيه السيوطي الأحاديث المتواترة من مضامن الأحاديث المتواترة.

ثم قال: (**ألا خَابَ قَوْمٌ كذَّبوهُم وقُبِّحُوا**)، (**ألَا**) هنا معناها مختلف عن المعنى السابق الذي ذكرناه، فـ (**ألا**) هنا بمعنى التنبيه والاستفتاح.

قال: (**خابَ**) يعني: خسِر، خسر الذين كذَّبوا الرواة الأثبات الذين نقلوا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث النزول، والمقصود به: مَن أنكر من المعطِّلة والمحرِّفة، فمن الحرمان والخسران أن يُردّ ما نُقل عن صحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والغريب أن القوم يأخذون من أحاديث صحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحكام ويتركون ما جاء في العقائد، وليس لهم في ذلك قاعدةٌ ثابتة، وقد ذكرنا كلام أهل العلم في عظمة حديث النزول؛ لأنه من الأحاديث المتواترة، المعتزلة لما أنكروا مسائل الاعتقاد قالوا: هي أحاديث أحاد. فجاء هذا الحديث ماذا؟ متواترًا على خلاف قاعدتهم، فلماذا لم تقبلوا به؟ صار المحَكّ الهوى في قبول الأحاديث، حتى قواعدهم غير منضبطة.

وقوله: (**قُبِّحوا**) هذا من باب الدُّعاء عليهم، جاء في بعض النُّسخ من النظم (**قَبَّحوا**) يعني: هؤلاء المحرِّفة والنفاة المعطِّلة نسبوهم للقُبح ضد الحُسن.

ونلاحظ في هذه الأبيات أن الناظم لم يذكر العُلوّ والاستواء، لكن كما ذكر أهل العلم: أنَّ في ضمن هذه الأبيات الإشارة إلى عُلوّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن العلماء حينما ذكروا أدلة العُلوّ وقد أشار أهل العلم إلى أن أدلة العُلوّ تفوق ألف دليل، ثم ذكَّروا أجناسًا للدلالة على العلوّ، فمن الأجناس النزول؛ لأن النزول يكون من العُلوّ، فقالوا: "إثبات النزول فيه باللزوم إثبات العُلوّ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى".

ثم قال بعد ذلك:

وَقُـــلْ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْـــدَ مُحَمَّـــدٍ ... وَزِيـــراهُ قُدْمًا ، ثُمَّ عُثْمَانُ أرْجَـــحُ

وَرابِعُهُـــم خَـــيْرُ البريَّـــةِ بَعْـــدَهُـــم ... عَلِـــيٌّ حَليفُ الخَـــيرِ ، بالخَيرِ مُنْجِحُ

وإنَّهمُ للرَّهْطُ لا رَيْـــــــبَ فِيْهِـــــــمُ ... عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ بالنورِ تَسْـــرَحُ

سَعِيدٌ وسَعْـــدٌ وابنُ عَـــوْفٍ وطَلْحـــةٌ ... وعَامِرُ فِهْـــــرٍ والزُّبَيْـــرُ المُمَـــدَّحُ

وَقُلْ خَـــيْرَ قولٍ في الصَّـــحَابةِ كُلِّهِـــمْ ... ولا تَـــكُ طَعَّانًا تَعِيْـــبُ وَتَجْـــرَحُ

فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبينُ بِفَضْـــلِهِـــــــمْ ... وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّـــحابةِ تَمْدَحُ

انتهى الناظم في الأبيات السابقة من بيان مُعتقد أهل السُّنة والجماعة في باب الصفات، ثم انتقل لبيان معتقد أهل السُّنة والجماعة في صحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

⇦ قبل أن نشرح هذه الأبيات، أودُّ أن أذكر لكم معتقد أهل السُّنة والجماعة في الإجمال في صحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك يتمثَّل في عدة أمور:

❑ **الأمر الأول: محبَّتهم:**

محبَّة الصحابة؛ لا شك أن الإنسان يحب أهل الإيمان، والصحابة هم أخَصّ أهل الإيمان، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «حُبُّ الأنصارِ آيةُ الإيمانِ»(١).

✍ قال أهل العلم: إذا كان حُب الأنصار من الإيمان، فالمهاجرين من باب أوْلى؛ لجمعِهم بين الهجرة والنُّصرة وغيرها.

❑ **الأمر الثاني: اعتقاد فضلِهم وعدالتهم وأنهم صفوة الأُمَّة:**

وهذا دلَّت عليه النصوص الكثيرة؛ فقد عدَّلهم الله فوق سبع سماوات، وجاءت فضائلهم في الكتاب والسُّنة.

❑ **الأمر الثالث: إثبات التفاضُل بينهم بحسب النصوص:**

الصَّحابة على درجات كما ذكر الناظم، وسوف يأتي ذِكر ذلك، والعلماء يُقدِّمونهم بما جاء في النصوص: الخلفاء الراشدين، ثم العشرة، ثم أهل البدر، ثم أهل بيعة الرضوان، وغيرهم، فنعتقد أن الصحابة بينهم تفاضل، وهذا التفاضل يرجع إلى السَّبق والصفات والتفاوُت في الأعمال والمنازل.

---

(١) أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (١١٧٥٠) واللفظ له، وأخرجه البخاري (٣٧٨٤)، ومسلم (٧٤).

❑ **الأمر الرابع من العقيدة اتجاه الصحابة: ذِكرهم بالخير ونشر مناقبهم:**

فالصحابة لا يُذكرون إلَّا بالجميل؛ يذكر الإنسان فضائلهم ومناقبهم ومواقفهم.

❑ **خامسًا من العقيدة إجمالًا في الصحابة: عدم سبِّهم والقدح فيهم:**

وقد حذَّر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك صراحةً؛ فقال: «**لَا تَسِبُّوا أَصْحَابِي**»(١).

❑ **سادسًا: عدم الخوض فيما جرى بين الصحابة مِن الفِتَن والقتال والخلاف:**

الصحابة بشر، يقع بينهم ما يقع، ولا يوجد أي منفعة من الخوض في مثل هذه الأمور، وخاصةً أن أكثر ما كُتب في هذا الباب فيه زيف، فيه الضعيف والموضوع مما يحتاج إلى تمحيص، فالسلامة في عدم الخوض في مثل هذا الأمر.

❑ **سابعًا: الترضِّي والاستغفار والدُّعاء لهم:**

والإنسان إذا كان يدعو لأهل الإيمان فالصحابة من باب أوْلى.

❑ **ثامنًا وأخيرًا: الشهادة لهم بالرحمة والجنة إجمالًا:**

كل الصحابة نشهد بأنهم من أهل الجنة والرحمة إجمالًا، والشهادة على وجه الخصوص لمن ثبت في النَّص؛ كالعشرة المبشَّرين بالجنة، وعكاشة بن مُحصن، وغيرهم ممن جاؤوا في أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بعد ذلك نأتي إلى ذِكر ما ذكره الناظم، ذكر هذا المعتقد إجمالًا؛ لأن النظم مثل هذه المنظومات ليست في سياق التفصيل؛ لأنها تُذكر فيها كل شيء، فالطالب يُدرك العقيدة إجمالًا، ثم يفصّل ما ذكره الشارح.

قال:

وَقُـــلْ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْـــدَ مُحَمَّـــدٍ وَزِيـــراهُ قُدْمًا ، ثُمَّ عُثْمَانُ أرْجَـــحُ

أي (**قُل**) كما ذكرنا سابقًا أي: اعتقِد، اعتقِد أيها السُّنّي الأثر؛ هذا المعتقَد.

(**إنَّ**)، (**إنَّ**) هذه توكيدية.

(**خيرَ النَّاس بعد محمدٍ**) هذا يشير إلى أن أفضل البشر هو محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولذلك قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا سيدُ ولدِ آدمَ**»(٢)، وبعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الناس النبيُّون والمرسلون، ثم بعد الأنبياء والمرسلين يأتي الصحابة في درجاتهم المختلفة كما ذكرنا في العقيدة إثبات التفاضل بين الصحابة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٠)، وابن ماجة (١٦١)، والنسائي في ((الكبرى)) (٨٢٥١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٣٠٨)، والترمذي (٣١٤٨)، وأحمد (١٠٩٨٧) بلفظه.

وبدأ بذِكر وزيراه: أبو بكر وعمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهما، وهذا بشهادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال: «هذانِ سيِّدا كُهولِ أهلِ الجَنَّةِ منَ الأوَّلينَ والآخِرينَ، ما خلا النَّبيِّينَ والمُرسَلينَ»[1] استثنى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حتى يُعرف أن منزلة الصحابة تأتي بعد النبوَّة والرسالة.

وهذا الأمر –وهو تقديم الشيخين أبو بكر وعمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهما– كان متقررًا في نفوس الصحابة، وكان حديثهم.

✍ ولذلك جاء عن ابن عمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهما قال: "**كُنَّا زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نعدِل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان**".

✍ وأيضًا جاء عن محمد بن الحنفية قال: "**قلت لأبي** –يعني علي بن أبي طالب رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه–: **أيُّ الناس خيرٌ بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال: أبو بكر. قلتُ: ثم مَن؟ قال: عمر**".

وحتى علي بن أبي طالب الذي تُقدِّمه بعض الطوائف الضالّة على الشيخين، جاء عنه أنه قال: "لا يُفضِّلني أحدٌ على أبي بكر وعمر إلَّا جلدته حدّ المفتري"؛ لأن هذا فيه افتراء، فالنصوص كثيرة، وهذا محل اتفاق.

وقول الناظم: **(وزيراهُ)** الوزير هو وزير المِلك الذي يتحمَّل عنه الأعباء والمهام ويأخذ برأية، وهذا اللفظ موجود في كتب السِيَر "وزيرا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، ولعلَّه مأخوذ من حديث جاء في [مُستدرك الحاكم] وفي [سُنن الترمذي]، لكن هذا الحديث لا يصح من جهة الإسناد؛ فالحديث: «ما من نبيٍّ إلَّا وله وزيرانِ من أهلِ السَّماءِ ووزيران من أهلِ الأرضِ»[2]. وفيه: وزيرا الأرض: أبو بكر وعمر، لكن الحديث لا يصح.

قال في البيت: **(قِدمًا)** ضُبط بالضبطين: **(قِدمًا، وقُدمًا)** بكسر القاف وبالضم:

– فبالكسر أي: في ابتداء أمر النبوَّة، ابتداء الأمر والنبوَّة كان أبو بكر وعمر بجانب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

– بالضم معناه: التقديم، بمعنى التقديم؛ يعني تقديم أبو بكر وعمر على غيرهما.

ثم ذكر الخليفة الثالث: **(ثم عثمانُ أرجحُ)** يعني في الترتيب، يأتي بعد الوزيرين –بعد أبو بكر وعمر– عثمان بن عفان رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، صاحب المناقب الكثيرة.

---

(١) أخرجه الطحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) (١٩٦٤)، واللفظ له، والترمذي (٣٦٦٥)، وابن ماجه (٩٥)، وابن أبي شيبة (٣٤١٠٩)، وصححه الألباني.

(٢) إسناده ضعيف.

وقال: "على الأرجح"، على الأرجح إشارة إلى ماذا؟ إلى الخلاف القديم الذي كان بين أهل السُّنة؛ فأهل السُّنة في البداية حصل بينهم خلاف، وهذا الخلاف ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في غير موضع، فكان هناك من يقدِّم علي، وهناك من يقدِّم عثمان، وهناك من يتوقف، ثم استقرَّ الأمر على تقديم عثمان، واتفق أهل السُّنة والجماعة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، **وهذه من الضوابط**: أن ترتيب الخلفاء في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

ثم قال:

وَرابِعُهُـــم خَـــيْرُ البريَّـــةِ بَعْـــدَهُـــم عَلِـــيٌّ حَليفُ الخَـــيرِ ، بالخَيرِ مُنْجِحُ

أي: رابع الخلفاء في المنزلة والمكانة قال: **(خيرُ البريَّة)**، **(البريَّة)** مِن برَى أي: خلَق، يعني المراد: خير الخلق بعد أبي بكر وعمر وعثمان، علي بن أبي طالب ابن عمي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزوج ابنته، أبو السبطين، صاحب المناقب الكثيرة.

وأشار الناظم إلى بعض مناقبه؛ قال: **(حَليفُ الخَيرِ)** يعني: مُلازِم للخير، مُلازم للعبادة والتعبُّد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأيضًا ذكر من صفاته قال: **(بالخَيرِ مُنْجِحُ)** يعني من النجاح والظفر، في بعض النُّسخ "يَمْنحُ"، بعض النسخ "مُمنِحُ" أي: هو الذي يمنح الناس في صفة الكرم والسخاء.

وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه ضلَّت فيه طائفتان، ذكرهما القحطاني في منظومته؛ قال:

فَعَلَيهِ تصلَى النَّار طائِفتانِ

إِحْـدَاهـمـا لا تَـرْتَضِـيـه خَـلـيـفَـةً وتـنُصُّـــه الأُخـرى آلـهًـا ثـانِـي

بين مَن غلا فيه ورفع مِن شأنه وقدَّمه على الشيخين ومَن ألَّهَهُ، وبين مَن نصب له العداء.

ثم قال بعد ذلك:

وإنَّهُمُ للرَّهْطُ لا رَيْـــــــــبَ فِيهِـــــــــمُ عَلَى نُجُـبِ الفِرْدَوْسِ بـالنورِ تَسْـــرَحُ

(وإنَّهمُ للرَّهْطُ) الرَّهط هم قوم الرجل وفصيلته، والرَّهط في العدد يُطلق من ثلاثة إلى عشرة، فيُحتمل أن الناظم يقصد الخلفاء الأربعة، **(وإنَّهمُ للرَّهْطُ)** يعني: صفة لهم.

وفي بعض النُّسخ -وهذا أقرب إلى السياق-: "وإنَّهم والرَّهطُ" يعني: الخلفاء والرَّهط الذين سوف يأتي ذِكرهم -وهم الستة- فيكون تمام العشرة المبشَّرين بالجنة لهم هذه الصفات، ففي بعض النُّسخ: "وإنَّهم والرَّهطُ" يعني الخلفاء الأربعة والستة البقيَّة من العشرة الذين يذكرهم.

قال: (لا رَيْبَ فِيهُم) يعني: لا تهمة ولا شك في فضلهم وعدالتهم ومنزلتهم بشهادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم.

قال: (عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ).

✍ **النُّجُب** جمع نجيب، وهو الأكرم من الأموال والأنفس، ويُطلق على النوق والخيل عند العرب، النياق الحسنة والخيول الأصيلة يُطلق عليها "النُّجب".

قال: (عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ) الفردوس فيها الخيول، وفيها النوق المخطومة كما جاء في أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلى نُجُب الفِرْدَوْس» وهذا شهادة لهم بالجنة كما ذكرنا على عقيدة أهل السُّنة والجماعة، فالشهادة لهم على وجه التعيين.

✍ **والفِردَوس** اسم يُطلق على الجنة عمومًا ويُطلق على أعلى الجنة خصوصًا كما ذكر ابن القيِّم.

وجاء في حثّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سؤال الله عَزَّ وَجَلَّ الفردوس الأعلى من الجنة.

قال: (بالنورِ تَسْرَحُ)، (تسرحُ) يعني: تسترسِل حيث شاءت، وهذه الخيول مَن يكون عليها عليهم النور والوضاءة والحُسن والبهاء، وهذه صفة هذه الأُمَّة؛ يعني على وجوههم النور في الجنة.

وذكر البعض نُكتة في هذا البيت: أن فيه التزاوُر، التزاور بين أهل الجنة فيما بينهم.

ثم ذكر هؤلاء الستة؛ قال:

سَعِيدٌ وسَعْـــدٌ وابنُ عَـــوْفٍ وطَلْحـــةٌ وعَامِرُ فِهْـــــرٍ والزُّبَيْـــرُ المُمَـــدَّحُ

هذا تفسير للرَّهط الذين ذكرهم، يعني إلى جانب الخلفاء العشرة هؤلاء الستة الذين شهِد لهم النبي الله عليه وسلم، وسُمُّوا بـ "العشرة المبشَّرين بالجنة"؛ لأنه جاء تبشيرهم بالجنة في مقامٍ واحد، يعني قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبو بكرٍ في الجنةِ، وعمرُ في الجنةِ، وعثمانُ في الجنةِ، وعليٌّ في الجنةِ، والزبير في الجنةِ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ في الجنةِ»[1]. فذكرهم في سياقٍ واحد، فذكر هؤلاء الستة: سعيد بن زيد القُرشي، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وعامر بن عبيد الله بن الجرَّاح، والزبير بن العوام.

ثم قال: (المُمَدَّح)، (الممَدَّح) هو الذي كثُرت فيه صفات المدح، وليس المراد به الزبير فقط؛ بل الكل يدخل في هذا الوصف، ومناقبهم كثيرة، ومن أفضل ما كُتب في مناقبهم كتاب [الرياض النضرة في مناقب العشرة] للمحبّ الطبري، كتاب جميل! ذكر فضائل أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم بقية العشرة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٤٨) واللفظ له، وأبو داود (٤٦٤٩)، والنسائي في ((الكبرى)) (٨١٣٧)، وصححه الألباني.

نقتصر على هذا، ويحتاج بعض التفصيل، أسأل الله أن يوفِّقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ

[الدرس السادس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ...

فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ...

⇦ فنستأنف شرح منظومة الحائية لابن أبي داوُد، وكان الحديث حول معتقد أهل السُّنّة والجماعة في الصحابة:

⇦ تكلَّمنا عن الرزق، وذكرنا أن الرزق على نوعين، ما هما؟

رزقٌ بالدائن والدين.

تذكر لنا مثال على رزق الدّين؟

ذكرنا المغفرة، ما هي المغفرة؟

طالب: (غير مسموع).

في الأبيات المتعلقة بإثبات صفات الله عَزَّ وَجَلَّ، هل ذكَر الناظم صفة العلوّ؟

يستلزم نعم، أحسنت.

من يذكر لنا ثلاثة نقاط في المعتقَد في الصحابة؟

طالب: محبَّتهم، واعتقاد عدالتهم وفضلهم،، ونشر مناقبهم، وعدم سبّهم.

⇦ نُكمل كلام الناظم في الأبيات:

وَقُلْ خَـــيْرَ قولٍ في الصَّـحَابةِ كُلِّهِـــمْ ولا تَـــكُ طَعَّانًا تَعِيْـبُ وَتَجْـرَحُ

قال كما في الأبيات السابقة: (وقُل) **ذكرنا أن هذا القول يشمل الأمرين:**

- قول اللسان.
- واعتقاد الجَنان.

والقول إذا أُطلق قد يراد به قول اللسان، وقد يراد به قول القلب، وهذا معروف في باب الإيمان؛ يقولون: "قول القلب وقول اللسان".

فالاعتقاد يكون جهة الصحابة بالقلب وباللسان، فيكون القلب سليمًا تجاههم، خاليًا من الغلّ، وباللسان لا يتكلَّم عليهم بالقدح ولا يقول فيهم إلَّا الخير.

قال: (وَقُلْ خَيْرَ قولٍ) يقصد ماذا؟ ذِكر محاسنهم والترضِّي عنهم والكفّ عن مساويهم والذبّ عنهم، كما مضى معنا في ذِكر مجمل الاعتقاد في الصحابة.

قال: (وَقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ).

✎ (الصَّحابة) جمع الصحابي، وقد مضى معنا: هو كل مَن لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به ومات على ذلك. ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في [الإصابة] وفي [النُّزهة].

ويدخل في ذلك: عموم الصحابة، مَن كان قليل الصحبة أو كثيرها، يعني: مَن صاحَب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قليلًا أو كثيرًا، فجميع الصحابة لهم هذا الحق.

✍ أبو زُرعة لما تكلَّم عن الصحابة قال: "يربُون على المئة ألف"، فكل صحابي من الصحابة تعتقد فيهم مثل هذا الاعتقاد، لا تقول فيهم إلَّا الخير.

قال: (كُلّهم) وهذا تأكيد؛ لأن ذِكر الصحابة بالألف واللام يدخل فيه جميع الصحابة، لكن أكَّد هذا الأمر بقوله: (كُلّهم).

▲ وذلك لعموم الآيات التي تذكر عموم الصحابة: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾[التوبة:١٠٠] فيدخل فيهم جميع الصحابة.

▲ وأيضًا حديث عمران بن حُصين: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»[١]، «النَّاس» يعني يشمل جميع الصحابة.

فالصحابة كلهم لهم هذا الفضل ولهم العدالة، ولا يُذكرون إلَّا بالجميل.

وذِكر هذا التقييد (كُلهم) فيه الردّ على بعض الطوائف التي تطعن في بعض الصحابة وتُعدِّل البعض الآخر، فذكَر أن هذه عقيدة عامة في كل الصحابة، لا نُفرِّق بين صحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (ولا تَـكُ طَعَّانًا).

✎ **الطَّعن المراد به**: السَّبّ والكلام بغيبةٍ أو مذمَّةٍ أو نحوها.

⇦ وهذا جاء النهي عنه على وجه الخصوص وعلى وجه العموم:

▲ **أمَّا على وجه الخصوص**: فدليله قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي» هذا خاص بالصحابة.

▲ **وأمَّا الدليل العام**: فقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ»[٢]. وأوْلى مَن يدخل في هذا النص مَن؟ الصحابة، فسِبابهم فسوق، أوْلى مِن غيرهم.

قال الناظم: (طعَّانًا) طعَّان على وزن "فعَّال"، هي مِن صِيَغ المبالغة، وهل هذه الصيغة مقصودة؟ ليست مقصودة، المقصود هو النهي عن الطَّعن في الصحابة عمومًا، كثير ذلك وقليله، ومعروفٌ عند العرب أنه قد يأتي على وزن "فعَّال" ما لا يُراد به المبالغة، من ذلك: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[فصلت:٤٦]، "بِظَلَّامٍ" لا يُقصد به المبالغة؛ وإنما يُقصد به: بذي ظلم، تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن الظلم.

▲ وأيضًا قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليسَ المؤمِنُ بالطعَّانِ»[٣] ما المقصود منه؟ ليس بذي طعن، فالمبالغة هنا ليست مقصودة، القصد: المنع عن الطَّعن في الصحابة عمومًا، سواء كان كثيرًا أو قليلًا.

قال: (تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ).

والحديث عن سبّ الصحابة، لا شكّ أن سبّ الصحابة من كبائر الذنوب، وهو ليس على مرتبةٍ واحدة، ولو تقرؤون الكتب التي أُلِّفت في الاعتقاد، فإنهم ذكروا أحكام كثيرة لمن سبَّ صحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم درجات.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٣٥)، وأبو داود (٤٦٥٧)،والترمذي (٢٢٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٧٧) واللفظ له، وأحمد (٣٨٣٩)، وصححه الألباني.

⇦ وأختصر لكم من كلام أهل العلم الأقوال أو التقاسيم في مَن سبَّ صحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

❑ **القسم الأول: أن يرمي عامّتهم –عامة الصحابة– أو أكثرهم بالكفر أو الفسق:**

فهذا كفر؛ لأنه تكذيبٌ بالنصوص، لأنه يتَّهم نقَلَة الشريعة، إذا قلت: "أن نقلَة الشريعة كفار" يعني ما تقبل منهم الدين الذي نُقل إلينا.

❑ **القسم الثاني: أن يلعن بعضهم أو يسبّ بعضهم:**

وهذا على قسمين:

– **القسم الأول:** إن كان لعن أو سبّ بعضهم تغيُّظًا منهم –من باب الغيظ– فهذا كفر كما ذكر الإمام مالك.

– وإن كان تنقصًا من البعض أو تأوُّلًا، فهو فسق.

هذا النوع الثاني: **أن يسُب أو يلعن بعضهم على قسمين:**

❍ أن يكون سبب السَّب أو اللعن لبعضهم هو الغيظ –غيظ القلب تجاههم– فهذا من الكفر.

❍ وأمَّا إن كان من باب التأوُّل أو عموم التنقُّص؛ فهذا من الفسق.

وتجدون في كلام الأئمة –كلام الإمام الشافعي والإمام مالك وغيرهم– يقولون: فسقٌ يؤدَّب عليه، يعَزَّر عليه.

❑ **القسم الثالث: أن يسُبّ أمهات المؤمنين:**

وهو على قسمين:

– **القسم الأول:** إن قذفهُنّ بالزنا فهو كافر؛ لأنه سابٌّ للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

– **القسم الثاني:** إن سبَّهنَّ دون قذف، فحُكمه كحكم سبّ بقية الصحابة.

يعني يُنظر: هل هو للتغيُّظ أو أنه تنقُّصٌ وتأوُّل؟

الطَّعن في الصحابة كما ذكر أهل العلم: يلزم منه الطَّعن في الربّ والطعن في الدّين والطعن في الرسول، الطعن في الصحابة يلزم منه الطعن في الربّ؛ لأن الله هو الذي اختارهم لصحبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأيضًا طعنٌ في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كيف يستأمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هُم على هذه الحال؟ كيف يعطيهم الأمانة؟ كيف ينقلون الدين؟

أيضًا هو طعنٌ في الدين، لماذا؟ لأنهم هم نقلَة الدين، فإذا طعنت في الصحابة أنت تطعن في النَّقَلة؛ ولذلك ذكر أهل العلم أن الطَّعن في الصحابة وتكفير الصحابة وتكذيب الصحابة ليس المقصود منه ذات الصحابة؛ وإنما المقصود هو الطعن في الدين.

يعني لما يأتيك واحد يتكلم على راوية الإسلام أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ويتَّهمه بالكذب وهو الذي قد روى أغلب أحاديث الإسلام، ماذا يريد من هذا التكذيب؟ حتى يُشكِّك الناس في أحكام الدين، يعني كل ما رواه أبو هريرة لا يقبله على هذا الطَّعن.

✍ **فالطعن المقصود منه**: الطعن في الدين.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذَّر في غير ما حديث من الطعن والسبّ؛ كالحديث الذي ذكرناه: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(١).

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا**»(٢). فالصحابة لا يُذكرون إلَّا بالخير، لا يُذكرون إلَّا بالجميل مع الإحسان والدُّعاء لهم.

⇦ أبرز المخالفين في هذا الباب:

❑ **الفرقة الأولى**: هُم الرافضة الذين غلوا في آل البيت وأبغضوا بقية الصحابة وطعنوا فيهم.

❑ **الفرقة الثانية**: هم النواصب، النواصب عكس الروافض، جاؤوا ندًّا لهم، وهم الذين أبغضوا آل البيت وأثنوا على باقي الصحابة.

❑ **أيضًا من الفِرَق المخالفة**: الخوارج والمعتزلة الذين طعنوا في جملةٍ من الصحابة، الخوارج معروفين في مسألة التحكيم والفتنة، كفَّروا مَن دخل هذا الأمر.

ثم قال الناظم بعد ذلك:

فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبينُ بِفَضْلِهِمْ وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَحُ

قال: (**نَطَقَ الوَحْيُ**).

⇦ ما هو الوحي؟

✍ **الوحي هو في اللغة**: الإعلام السريع الخفي، وله مراتب وصفات.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٠)، وابن ماجة (١٦١)، والنسائي في ((الكبرى)) (٨٢٥١).

(٢) أخرجه الطبراني (١٠/٢٤٣) (١٠٤٤٨)، واللالكائي في ((شرح أصول الاعتقاد)) (٢١٠) واللفظ له، والبيهقي في ((القضاء والقدر)) (٤٤٤)، وصححه الألباني.

وقول الناظم: (فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ) هذا مأخوذٌ من قوله: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ﴾[الجاثية:٢٩] وصفه بالنطق، ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾[الجاثية:٢٩].

(فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبينُ)، (المبينُ) أي: الواضح، وهذا وصف للقرآن: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، وفي بعض النُّسخ: "فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المتينُ"، بدل (المبين): المتين.

قال: (بفضلِهِم) وهذا يفيد الفضائل الخاصة والفضائل العامة؛ لأن الفضائل التي جاءت في الصحابة بعضها عامة تشمل كل الصحابة، وهناك فضائل خاصة؛ يعني مثلًا: منقبة لأبي بكر، منقبة لعمر، منقبة لغيرهم من صحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (وفي الفَتحِ) أي: في سورة "الفتح" التي نزلت بعد بيعة الرضوان في السنة السادسة.

(آيٌ) آيات (في الصَّحابةِ تَمْدَحُ) وفي نُسخة: "للصَّحابةِ تَمْدَحُ".

والمدْحُ هو الثَّناء باللسان على الجميل مطلقًا.

فأشار أن الوحي مليء بالأدلَّة على فضل الصحابة، وبالأخص سورة "الفتح"؛ فإن الذي يتأمَّله يقرأ الآيات في مدح الصحابة في أوله ووسطه وآخره، **فمن ذلك:**

- ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الفتح:٤] يقصد صحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ثم ذكر بعدها في الآيات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[الفتح:١٠] وهذا أيضًا فيه ثناء على الصحابة.
- ثم أيضًا: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾[الفتح:١٨] شهادة لهم بالرضا.
- وأيضًا: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[الفتح:٢٦].
- وأيضًا ختام السورة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[الفتح:٢٩] ثناء على صحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذِكرٌ لصفاتهم.

بل لم يقتصر الأمر على ذلك؛ يعني ذَكَر أن هذه الصفات وأن هذه الفضائل موجودة في التوراة والإنجيل، يعني ذِكْر هذه الصفات، يعني من ثنايا هذه الآية الأخيرة ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[الفتح:٢٩] وهذا النَّص الذي استدل به الإمام مالك على كُفر مَن سبَّ الصحابة غيظًا.

فإذًا بيَّن الناظم هنا عقيدة أهل السُّنة والجماعة في الصحابة ومكانتهم وفضلهم والحذر من الطَّعن فيهم.

ثم قال:

وبِـالقَـــــــدَرِ المقْـــــــدُورِ أيْقِنْ فـإنَّـهُ دِعَامَةُ عقْدِ الدِّينِ والدِّينُ أفْيَـــــحُ

الناظم اختصر هذا الباب مع أنه بابٌ عظيم وواسع، لكن ذكره في بيتٍ واحد، ونريد أن نذكر مُجمل الاعتقاد في هذا الباب وهو يضبط لطالب العلم الأساس في هذا الباب، ثم بعد ذلك تأتي مسائل التفاصيل، وهذا من باب التأصيل الذي يتعلَّمه طالب العلم؛ حينما تدرس العقيدة، أوَّل ما يتعلَّمه الطالب المبتدئ أن يضبط مُجمَل الاعتقاد، فإذا ضبَط مُجمل الاعتقاد انتقل إلى مُفصَّل الاعتقاد.

⇦ ومن الأخطاء الشائعة المنهجية: أن البعض ينتقل إلى مُفصَّل الاعتقاد ولم يضبط مُجمل الاعتقاد، فيمر الإنسان على أصول العقائد، يعرف مجمل اعتقاد السلف وأهل السُّنة فيها.

⇦ فمجمل الاعتقاد في القدَر يمكن حصره في ثلاثة أصول:

❑ **الأصل الأول: يؤمن أهل السُّنة أن كل ما يقع فهو راجعٌ إلى علم الله وكتابته ومشيئته وخلقه:**

هذا الأصل الأول؛ كل ما يقع فهو راجع لعِلم الله وكتابته ومشيئته وخلقه، وسوف يأتي بعض التفاصيل لهذا الأصل.

❑ **الأصل الثاني: أنه لا تعارُض بين مشيئة الله لأفعال العباد وخَلْقِه لها وبين إثبات مشيئة العباد لهم حقيقةً.**

وهذا الباب وُفِّق فيه أهل السُّنة والجماعة؛ فهم يُثبتون هذه الأشياء الأربعة في هذا الأصل، ومَن أثبتها فقد فاز ووُفِّق في هذا الباب العظيم:

- **الأمر الأول في هذا الأصل:** أنه للعباد مشيئة، قُدرة لمن شاء منكم أن يستقيم.

- **والأمر الثاني:** أنَّ أفعال العباد تصدر منهم حقيقة وليست مجازًا كما تقول الجبرية، وليست مفعول بهم كما تقول الجبرية، لا؛ جزاء ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هي أفعالهم على الحقيقة.

- **الأمر الثالث:** إثبات مشيئة الله، ما يقع شيء بك إلَّا بمشيئة الله؛ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[التكوير:٢٩].

- **والأمر الرابع في هذا الباب:** أنَّ الله خالقُك وخالق فِعلك؛ يعني كما أن الله خلَق ذواتنا خلق أفعالنا.

وإن شاء الله إذا أتينا إلى بعض التفاصيل، سنعرف أن سبب انحراف الفِرَق في هذا الباب هو عدم ضبط هذا الأصل.

❑ **أيضًا الأصل الثالث في هذا الباب: أن الهداية والإضلال بيد الله تعالى:**

فهو يهدي مَن يشاء نعمةً وفضلًا، ويُضل من يشاء حكمةً وعدلًا؛ هذا أصل عظيم! الهداية والإضلال بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو محضٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن يهده الله فهذه نعمة وفضل، ومن يُضلّه الله عَزَّ وَجَلَّ فهذه حِكمة وعدل.

⇦ وحينما يدرس طالب العلم هذا الباب [باب الإيمان بالقضاء والقدر]، ويقرأ في الكتب المنهجية، إذًا طالب العلم حينما يدرس هذا الباب لابد أن يستحضر ثلاثة أمور مهمة جدًّا:

❑ **الأمر الأول: أن يستحضر عدل الله التَّام:**

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾[يونس:٤٤] فالله مُنزَّه عن الظلم.

❑ **وأيضًا الأمر الثاني: يتذكَّر علم الله الكامل الشامل:**

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

❑ **والأمر الثالث: أن يتذكَّر حِكمة الله البالغة:**

هذه الحكمة التي لا نعلم كثيرًا من تفاصيلها؛ ولذلك أهل العلم -عندما تقرؤون كلام ابن القيِّم في [شفاء العليل] ذكر أن القدر على قسمين: قسمٌ معلوم، وقسمٌ مجهولٌ مخزون.

فصاحب السُّنة يقف عند القدر المعلوم الذي علَّمه الله في القرآن وفي السُّنة، ولا يخوض في المجهول الذي لا يعرفه، ومن هذا الباب: قضية الحكمة، تيقَّن أن كل شيء يفعله الله له حكمة، قد تظهر لك وقد تخفى لك، قد تظهر للبعض وتخفى على البعض؛ هذا يُعلِّم الإنسان مقام الأدب مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذا الباب؛ لأن الشيطان قد يُلبِّس على الإنسان في باب القضاء والقدر، وهي من أدقّ المسائل.

ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية لما فصَّل معتقد أهل السُّنة والجماعة في [التدمرية] ركَّز على هذين الأصلين: أصل الصفات، وأصل القدر، وذكر فيها المسائل الدقيقة.

قال الناظم: (وبِالقَدَرِ المقْدُورِ أيْقِنْ) أي: آمِن بالقدر المقدور.

✎ **المقدُور يعني:** المقدَّر الصادر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(أيقِنْ) اليقين ضد الشك، هذا المقام مقام اليقين، وليس مقام الظن والشك في أفعال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتقديرات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلابد أن يكون لديك يقين في هذا الباب.

قال: **(فإنَّه دِعَامَةُ عقْدِ الدِّينِ)** الدِّعامة -بكسر الدال- عماد البيت وأساس البناء.

✎ والعِقد: القلادة.

⇦ فالقصد: أن الدِّين عبارة عن عِقد ينتظم فيه أمور كثيرة جدًّا، وشُعب وأعمال، وهي ليست على درجة واحدة؛ هناك عبادات، هناك معاملات، هناك أخلاق، هناك عقائد، من هذه العقائد: عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، أنها من الدعائم العظيمة، وإذا زال هذا الأصل زال غيره، وأركان الإيمان مترابطة مَن أنكر واحدًا أنكر الكل.

والدين هنا المراد به: المعهود الذهني، يعني دين الإسلام الذي جاء في النصوص ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾[آل عمران:١٩].

ووصفه بأنه (**أَفْيَح**) يعني: واسع.

⇦ يعني القصد من كلام الناظم: أن الدين فيه طاعات كثيرة وعبادات متنوّعة وأعمال كثيرة، لكن بعضها من العقائد والأعمدة، منها: الإيمان بالقضاء والقدر.

فهذا البيت ذِكر لسادس أركان الإيمان الذي جاء في النصوص كما في حديث جبريل: «**والقَدَر خَيْرِهِ وشرِّه**»(١).

وهذا الباب يؤمن فيه الانسان أنه ما من صغيرٍ وكبيرٍ في هذه الدنيا إلَّا بقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا تسقط ورقة إلا بقدر الله عَزَّ وَجَلَّ.

⇦ وقد ذكرنا في الأصل الأول الذي أشرنا إليه في الإجمال مراتب الإيمان بالقدر، نذكرها بشيء من التفصيل:

❑ **الأول: الإيمان بعلم الله الأزلي:**

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أحاط بكل شيءٍ علمًا، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلِم ما كان وما سيكون -يعني في المستقبل- وما لم يكُن لو كان كيف يكون، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلم كل شيء، ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ**﴾[الأنفال:٢٣]، ﴿**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا**﴾ هذا كله دِلالة على علم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذه عقيدة أهل السُّنة والجماعة.

إن شاء الله تدرسون من الفروق بين أهل السُّنة والجماعة وبين الفلاسفة:

- أن الفلاسفة يقولون: إن علم الله محصور، علم الله جزئي.
- وأهل السُّنة يعتقدون أن علم الله شمولي كامل، يشمل كل شيء.

❑ **المرتبة الثانية: الإيمان بالكتابة:**

وأن كل شيء كُتب ودُوِّن في اللوح المحفوظ، ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ**﴾[القمر:٥٢]، كل شيء مزبور، مكتوب عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾[الحديد:٢٢] فكل شيءٍ مكتوب، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كتَبَ الله مقادِيرَ الخلائِقِ قبل أنْ يخلُق السَّماوات والأرضِ بخمسين ألفِ سَنَةٍ»(١).

❑ **الأمر الثالث من المراتب: الإيمان بالمشيئة:**

وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكُن؛ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[التكوير:٢٩]. فكل شيء بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما علَّم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن عباس: «واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ...»(٢) إلى نهاية الحديث.

❑ **والأمر الرابع: هو الإيمان بالإيجاد والخلق:**

الموجِد للخلائق والخلق هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦]؛ هذا فيه الإشارة إلى خلق أفعال العباد.

فهذه مراتب الإيمان بالقضاء والقدر.

⇦ والمخالفون في هذا الباب طائفتان:

❍ **الطائفة الأولى هي القدرية:**

والقدَّرية قسَّمهم أهل العلم على قسمين:

– القدرية الغلاة القدماء؛ وهم الذين كانوا ينكرون القدر بمراتبه الأربعة، المراتب الأربعة التي ذكرناها، وذكر أهل العلم أن هؤلاء انقرضوا.

– والقسم الثاني من القدرية: هم الذين أثبتوا العلم والكتابة وأنكروا المشيئة والإيجاد؛ فيقولون: إنَّ الله عَلِم فِعل الإنسان وكتبه لكن لم يشأه ولم يوجده؛ وإنما خَلَقه الإنسان! فالإنسان خالِق فِعل نفسه!

وهؤلاء القدرية يسمون "القدرية النفاة"، ويُمثِّلهم المعتزلة، وتجدون في الكتب أنهم يلقَّبون بـ "مجوس هذه الأُمَّة"؛ لأنهم يجعلون خالقين مع الله، المجوس أثبتوا خالقين: خالق النور والظُّلمة، أمَّا هم جعلوا كل إنسان خالق مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) بلفظه ، والترمذي (٢١٥٦)، وأحمد (٦٥٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) واللفظ له، وأحمد (٢٦٦٩)، وصححه الألباني.

❍ الفرقة الثانية: المُجبِّرة أو الجبرية:

ويمثِّلهم الجهمية، وهم عكس القدرية، وهؤلاء غلوا في إثبات القدر، فقالوا: أفعال العباد بقدرة الله ولا مشيئة للعبد. العبد ليس له مشيئة، وقالوا: العبد كالورقة في مهب الريح؛ يعني مجبور على فِعله، والفاعل الحقيقي هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يعني عقيدتهم متناقضة، عندهم تناقض، فهم يستخدمون هذه العقيدة في مواطن دون مواطن؛ يعني الجبري لو زنا وترك الصلاة وارتكب الموبقات فأُعترض عليه، قال: أنا مجبور كالورقة في مهب الريح!

لكن لو جاء شخص وضربه واعتدى عليه وأخذ ماله ما يقول أنا كالورقة في مهبّ الريح، فلديه تناقُض في هذا الباب.

✍ ولذلك قال بعض أهل العلم عبارة جميلة للجبرية، قال: "أنت عند الطَّاعة قدري وعند المعصية جبري". يعني: التحكُّم بهذا الأمر.

⇦ الأمر الأخير الذي نختم به: مما ينبغي أن نعلمه في هذا الباب: أن الإيمان بالقدر لا يتنافى مع فِعل الأسباب؛ بل مِن تمام القدر فِعل الأسباب.

كما سأل الصحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -حديث علي- قالوا: فيما العمل وقد في أمرٍ قُدِّر ومضى أم في أمرٍ مستأنف؟ قال: «**فيما قُدِّر وقُضي**». قالوا: ففيما العمل؟ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعملوا فكُلٌّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له**»[1].

فالإنسان مخيَّر، ويعمل ويأخذ بالأسباب. نكتفي بهذا القدر من التعليق على النظم، نسأل الله أن يوفِّقنا وإيَّاكم للعلم النافع والعمل الصالح.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٨)، وأحمد (١٤١١٦)، وأبو عوانة (١١٦٠٠)، وابن حبان (٣٩١٩)

[الدرس السابع]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ...

فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ...

⇦ فنستأنف شرح [منظومة الحائية]:

تكلَّمنا في اللقاء الماضي عن الإيمان بالقضاء والقدر، وذكرنا في التوطئة ثلاثة أصول مهمَّة يجتمع فيها مجمَل الاعتقاد بالإيمان بالقضاء والقدر، مَن يذكر لي هذه الأصول؟

طالب: .....

الشيخ: جاء في كلام الناظم: **(والدِّين أفيَحُ)** ما المراد بـ **(أفيَحُ)**؟ واسع.

ذكرنا في نهاية الكلام عن القضاء والقدر، الفِرَق المخالفة لأهل السُّنة والجماعة في باب الإيمان بالقضاء والقدر، ما هي هذه الفِرَق؟

طالب: .....

الشيخ: الجهمية مِن عقائدهم الجبر، الجهمية طائفة ولهم عقائد كثيرة، فمن عقيدتهم في القدر الجبر.

⇦ ننتقل بعد ذلك، قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلا تُنْكِرَنْ جَهلًا نَكِيرًا ومُنْكَـــــــــرًا وَلا الحَوْضَ والمِيزانَ إنَّــكَ تُنْصَــحُ

شرَع الناظم بعد أن ذكر الإيمان بالقضاء والقدر، الإيمان باليوم الآخر، وكما ذكرنا: أنَّ هذه الأركان كلها مترابطة، لا ينفك بعضها عن بعض.

ونلاحظ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر هذه الأركان، أحيانًا تأتي بعضها مجموعة، وقد تأتي بعضها منفصلة، فأشار الله عَزَّ وَجَلَّ إلى خمسة أركان من أركان الإيمان في قوله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[البقرة:١٧٧].

أيضًا: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[البقرة:٢٨٥] فيه الجمع بين خمسة أركان من أركان الإيمان.

⇦ وهنا فائدة:

في الجمع بين هذه الأركان الخمس لم يُذكر فيها الإيمان بالقضاء والقدر، فلماذا لم يُذكر؟

يعني في الآية الأولى والثانية فيها ذِكر الأركان كلها عدا الإيمان بالقضاء والقدر.

⇦ أجاب أهل العلم عن ذلك بجوابين:

✍ **الجواب الأول**: أن الإيمان بالقضاء والقدر داخلٌ في الإيمان بالرسل والكتاب؛ فإن الرُّسل والكتاب هي التي توضِّح الإيمان بالقضاء والقدر، وقد جاء من طريقها -يعني من طريق الرسل وما أُنزل إليهم.

✍ **القول الثاني لأهل العلم في إفراد آيات القدَر، الإيمان بالقدر عن بقية أركان الإيمان، قيل**: للأهمية لعلاج ما كان أيضًا شائعًا عند العرب من نسبة الخلق والتقدير إلى الطبيعة أو تأثير الأشياء بذاتها، أو غيرها مما كان هو موجودًا وبيّنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقيل: أُفرِد للأهمية ولحاجة الناس ببيانه مفرَدًا.

في هذه الأبيات التي شرع الناظم في ذِكر هذا الركن وهو الإيمان باليوم الآخر، لا شك أن الإيمان باليوم الآخر واسع ومسائله كثيرة، لكن الناظم -كما سوف يأتي معنا- ذكر ستة عقائد من الإيمان باليوم الآخر.

ما هو الإيمان باليوم الآخر؟

✍ **تعريفه**: الإيمان بكل ما أخبر الله تعالى به وأخبر به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكون بعد الموت.

هذا أجمع تعريف للإيمان باليوم الآخر، وهو سهل، يضبط لك أن تعرف ما هو الداخل في اليوم الآخر.

في هذا البيت الأول ذكر الناظم ثلاثة عقائد؛ قال:

وَلا تُنْكِرَنْ جَهلًا نَكِيرًا ومُنْكَـــــــــرًا وَلا الحَوْضَ والمِيزانَ إنَّـــكَ تُنْصَـــحُ

⇦ أهل العلم حينما يتكلمون عن الاعتقاد في القبر يذكرون ثلاثة عقائد:

✍ **الأولى**: هي إثبات فتنة القبر والاختبار وسؤال المَلَكِين، وهو الذي ذكره الناظم في هذا البيت.

✍ **الأمر الثاني مما يُذكر في العقائد المتعلِّقة بالقبر**: إثبات نعيم وعذاب القبر، وهذا سوف يذكره أيضًا الناظم.

الأمر الثالث: إثبات الضمَّة -أو ما يسمى بالضغطة- فإن العبد له ضمَّةٌ يُضمّ بها في قبره.

هذه ثلاثة عقائد متعلِّقة بالقبر، والمصنف ذكر عقيدتين.

فأول أمر ذكره الناظم هنا، قال: **(وَلا تُنْكِرَنْ جَهلًا نَكِيرًا ومُنْكَرًا)** وهذا هو إثبات فتنة القبر والسؤال.

⇦ ومجمل الاعتقاد في فِتنة القبر في نقاط:

❑ **الأمر الأول**: إثبات فتنة القبر، وهو السؤال والاختبار.

❑ **الأمر الثاني**: أن الذي يسأل ملَكان يُعرفان بمنكرٍ ونكير لهما صفاتٌ جاءت في النصوص.

❑ **الأمر الثالث**: أن الأسئلة التي يسألها الملَكان ورَد ذِكرها، وهي: **«مَن ربُّك؟ وما دينُكَ؟ ومَا نبيُّك؟»**[1]. وهي الأصول الثلاثة التي يُعنى بها الإنسان.

❑ **الأمر الرابع**: أنَّ الناس اتجاه هذه الأسئلة بين موفَّقٍ مجيبٍ مُنعَّم وبين خائبٍ مخذولٍ معذَّب، يعني إمَّا أن يجيب ويوفَّق ويترتب عليه النعيم، أو أنه يُخذل ولا يجيب ويترتَّب عليه العذاب.

فقال: **(ولا تُنكِرنَّ** الـ **(لا)** هنا ناهية، **(تُنكرنَّ)** الإنكار هنا: الجحود، الجحد وعدم الإثبات.

قال: **(جهلًا)** جهلًا إعرابها مفعول لأجله؛ أي: لا تُنكر وجودهما بسبب جهلك وعدم عِلمك.

قال: **(نكيرًا ومُنكرًا)**، يقال: "منكر ونكير" بالتنكير، أو بالتعريف: المنكر والنكير؛ يعني ممكن تضيف الألف واللام أو تنكِّرها، تجد في كتب العقائد أحيانًا تنكير وأحيانًا التعريف، وهما اسمان للملَكين الموكَّلان بفتنة القبر.

⇦ والملَكان جاء لهما صفات:

- من الصفات: أنهما أسودان أزرقان، وهذا أشد في الإخافة، حينما يجتمع لونان كالسواد والزُّرقة.

- وأيضًا من صفاتهم: أنهم يختبرون العبد، أنَّ عملهم هو اختبار العبد.

- وأيضًا من صفاتهم: أنهم ينتهرون العبد، مِن النهر والشدَّة، لماذا؟ لأن المقام مقام اختبار، واختبار عظيم يترتب بعده إمَّا نعيم أو عذاب؛ ولذلك حتى من ضمن الاختبار أن فيه تعمية؛ كما في بعض الروايات: **«مَا تقولُ في الرَّجل الذي بُعِثَ فيكُم؟»**[2].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١)، والترمذي (٣١٢٠)، والنسائي (٢٠٥٧)، وابن ماجه (٤٢٦٩)، وأحمد (١٨٥٧٥) مختصراً، وأبو داود (٤٧٥٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣) واللفظ له، والنسائي (٢٠٠١)، وابن ماجه (١٥٤٩) مختصراً، وأحمد (١٨٥٥٧)، وصححه الألباني.

✍ وهذه المعاني جاءت في [سنن الترمذي] من حديث أبي هريرة: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَالْآخَرُ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ». هذا المؤمن الذي يجيب الموفَّق.

«ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ. فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ؟» يعني أُخبرهم بهذا النعيم، يعني مِن شدة السعادة يريد أن يُشرك أهله بما حصَّله من النعيم، «فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ». وهذا يدل أن فترة القبر على الإنسان المؤمن يسيرة وسهلة إذا استعدَّ الإنسان وعمِل لها في هذه الدنيا.

قال في الحديث: «وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُم، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ» عظامه «فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ»[1].

المنكر والنكير هذه التسمية الأولى المنكر والنكير، وسبب هذه التسمية: لأنهما يأتيان في صورةٍ مُنكرة لم يعهدها الإنسان، يعني ليس فيها أُنس للناظر، وليس معناها المتبادر إلى الذهن الشيء المستقبَح أو المنكَر الذي يسمعه الإنسان عادةً.

وأيضًا من أسمائهما "الفتَّانان"؛ لأنهما يفتنان الناس في قبورهم.

✍ وقد سُئل الإمام أحمد: هل نقول المنكر والنكير أم الملَكين؟ قال: "المنكر والنكير، هكذا هو" يعني نقف عند ما ورد في السُّنة.

⇦ لماذا قال الإمام أحمد هذا؟

لأن المعتزلة الذين يُحكِّمون عقولهم يردُّون هذه التسمية، ويقولون: لا يصح أن يقال لبعض الملائكة منكرٌ ونكير.

وهذا الإنكار مبناه على ماذا؟ العقل، لكن إذا وُجد النَّص فالإنسان المؤمن وقَّاف عنده النص؛ ولذلك قال الناظم: (جهْلًا) أي: لا تُنكرنَّ يا صاحب السُّنة بسبب الجهل هذا الأمر.

⇦ وهذا لما يقرأ الإنسان فِتنة القبر، يحرص على الأخذ بالأسباب التي تُنجيه من فتنة القبر:

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وابن حبان (٣١١٧) وقال الترمذي: حسن غريب.

❑ **من هذه الأشياء المُنجية من فتنة القبر: سؤال الله الثبات:**

تسأل الله الثبات.

✍ جاء في حديث البراء قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**» قال: «**فذَلِكَ قولهُ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم:٢٧]**»(١).

فالتثبيت في هذا المقام من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالإنسان يستمر ويكون دأبُه سؤال الله الثبات في الدنيا وفي الآخرة.

❑ **أيضًا من الأمور المنجية من فتنة القبر: الشَّهادة والرباط في سبيل الله:**

ولذلك جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "ما بالُ الناس يُفتنون في قبورهم إلَّا الشهيد. فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**»(٢)".

❑ **الأمر الثالث من المُنجيات من فتنة القبر: أن يتعلَّم الإنسان الأصول الثلاثة:**

- معرفة الرَّب.
- ومعرفة الدين.
- ومعرفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا يتمثَّل في دراسة العقيدة والحِرص عليها.

وفي ذِكر المنكر والنكير في هذا السياق فيه: إثبات الإيمان بالملائكة، وأنَّ الملائكة لهم صفات ولهم أعمال ولهم أسماء، ومن جُملة الملائكة منكر ونكير الذي جاء ذِكرهما في هذا السياق.

⇦ وهذا الباب خالَف فيه ثلاثة فِرَق في فتنة القبر:

❍ الفرقة الأولى: هي الجهمية؛ الجهمية تُنكر فتنة القبر.

❍ وأيضًا المتأخِّرين من المعتزلة، لا سيَّما الجُبَّائيين: أبو علي الجُبَّائي، وأبو هاشم الجُبَّائي؛ فإنهما ينكران فتنة القبر، وأيضًا مثلهم: بشر المريسي يُنكر فتنة القبر.

❍ وأيضًا من الفِرَق المخالفة: الكُرَّامية، الكُرَّامية فرقة تُنسب إلى محمد بن كُرَّام، ظهروا في بلاد ما وراء النهر.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١).

(٢) أخرجه النسائي (٢٠٥٣)، وأبو نعيم في ((معرفة الصحابة)) (٧٢١١)، وصححه الألباني.

وانقرضت هذه الفئة، لكن لهم قول غريب في هذا الباب؛ يقولون: أن المنكر والنكير هم الملَكين الموكَّلين بكتابة الأعمال. وهذا القول لا شك أنه نشاز وغريب ولا دليل عليه.

ثم قال: **(وَلا الحَوْضَ والمِيزانَ إنَّكَ تُنْصَحُ)** العقيدة الثانية التي ذكرها المصنِّف: الحوض.

⇦ بدايةً نذكر عقيدة أهل السُّنة والجماعة إجمالًا في الحوض، ويتمثَّل ذلك في أربعة أمور:

❑ الأمر الأول: الحوض كرامةٌ للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم القيامة.

❑ الأمر الثاني: أنَّ الحوض عظيم وواسع، وله صفاتٌ جاءت في السُّنة.

❑ الأمر الثالث: أنَّ الحوض مخلوقٌ موجودٌ الآن؛ يعني لا يُخلق يوم القيامة، موجود الآن؛ ولذلك في الحديث: «**إنِّي أنظُر إلى حوضِي الآن**»(١).

❑ الأمر الرابع من العقيدة في الحوض: أنه تَرِد أُمَّة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الحوض وهناك مَن يُذاد عن الحوض؛ أن يُمنع من الحوض لمخالفته.

✎ **الحوض في اللغة** هو مجمَع الماء.

✎ **وأمَّا الحوض في الشرع** هو مجمع الماء العظيم للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي تَرِد عليه أُمَّته في يوم القيامة.

والحوض والقنطرة أمران لم يأتِ ذِكرهما في القرآن، ودليلهما من السُّنَة، القنطرة والحوض، هذا إذا قلنا: أنَّ القنطرة ليس هو الصراط، وأحاديث الحوض متواترة كما ذكر السيوطي بأنها مروية عن خمسين صحابي أحاديث الحوض.

⇦ وحوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له صفات جاءت في الأحاديث الكثيرة:

❑ **منها**: أن ماءه أشدّ بياضًا من اللبن، أو الوِرْق –الورِق يعني: الفضة– فهذا في اللون.

❑ **وأيضًا في الحديث** «**أَنَّهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»(٢). هذا من صفات الحوض.

❑ **وأيضًا في حجمه**: جاء في الحديث: «**أنَّه مَسِيرة شَهرٍ**»(٣) طوله شهر وعرضه شهر.

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في ((السنة)) (٧٣٥) بلفظه، والبخاري (٣٥٩٦)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٦١) واللفظ له، وابن ماجه (٤٣٣٤)، وأحمد (٥٣٥٥)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢)..

❑ **أيضًا من صفاته التي جاءت في السُّنة:** أنَّ كيزانه عدد نجوم السماء –الكيزان: الآنية– آنيته عدد نجوم السماء؛ يعني كثير جدًّا.

❑ **أيضًا من صفاته:** أنَّ له ميزابان يُمدَّان من الجنة؛ يعني يُمد الحوض من الجنة، والحوض في العرصات، في عرصات القيامة.

✍ وأهل العلم في كتب العقائد يقولون: "أنه يُمدّ من الكوثر" الكوثر الذي أُختص به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❑ وأيضًا من صفاته: أنه مَن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا.

⇦ هذا الحوض يُذاد عنه ثلاثة أصناف:

ثلاثة أصناف لا يَرِدُون على الحوض:

❍ **الأوَّل: المرتَدُّون:**

مَن ارتدَّ عن الإسلام؛ وقد جاء في الحديث: «**إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ**»(١).

❍ **الصنف الثاني: المُحدِثون:**

أهل البدع؛ ولذلك قيل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»(٢).

❍ **والصنف الثالث: بعض العصاة:**

ولذلك جاء في الحديث، أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسند الإمام أحمد عن بعض الأُمراء الذين يكونوا في آخر الزمان، قال: «**مَنْ صَدَّقَهُمْ وَأَعَانَهُمْ لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الحَوْض**»(٣).

هذا ما يتعلَّق بحوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي نسأل الله إن يسقينا وإيَّاكم شربةً منه في يوم القيامة.

ثم العقيدة الثالثة التي ذكرها الناظم: الميزان.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٤)، ومسلم (٢٢٩١)، وأحمد (١١٢٢٠).

(٣) أخرجه أحمد (١٥٢٨٤)، وصححه الألباني.

⇦ نذكر أيضًا مُجمل الاعتقاد في الميزان في أربعة أمور:

❑ **الأمر الأول: أنَّ الميزان ميزانٌ حقيقي يُنصب يوم القيامة:**

طبعًا هذا ردّ على مَن يقول: أنه ميزانٌ معنوي.

❑ **الأمر الثاني: أن الميزان توزَن فيه الأعمال والكتب والأشخاص:**

ثلاثة أشياء، وكلها جاءت في النصوص، ويمكن الجمع بينها؛ كما قال الحافظ الحكمي في [شرح السُّلَّم].

❑ **الأمر الثالث: بعد الوزن إمَّا أن ترجح الحسنات أو السيئات أو تتساوى:**

وهو حال أهل الأعراف.

❑ **الأمر الرابع من الاعتقاد في الميزان: أنَّ الوزن لا يُستثنى منه أحد حتى الأنبياء:**

فالجميع داخلٌ في الوزن، المؤمنون والكفار، وقد جاء ذِكر الميزان في القرآن وفي السُّنة: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[الأنبياء:٤٧].

⇦ وهذا الميزان له صفات وردت في النصوص، مِن أشهرها ثلاثة صفات:

❍ **الصفة الأولى: أنه ميزانٌ دقيق:**

يزِن بمثاقيل الذَرّ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾[الزلزلة:٧-٨] فيه دقَّة.

❍ **أيضًا الوصف الثاني: أنه ميزانٌ عظيم:**

جاء في الحديث الصحيح قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ وُزِنَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسِعَتْهُنَّ»[1]. وهذا يدل على عظمته.

❍ **أيضًا: أن له كفّتان:**

كما جاء في حديث البطاقة.

ويدخل تحت الإيمان بالميزان: الإيمان بالدواوين والكتب، وفي هذا الباب عند ذِكر الميزان ينبغي أن يحرص الإنسان من الاستكثار من الحسنات التي تثقُل في الميزان، الحسنات متفاوتة، ليس كلها في درجةٍ واحدة؛ **فبعض الحسنات جاء النَّص على أن لها ثِقَلًا مختلفًا في الميزان:**

---

(١) أخرجه الحاكم (٨٧٣٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

* من ذلكُم: كلمة التوحيد إذا قالها الإنسان بصدق ويقين –هذا الأمر الأول– الذي جاء في حديث البطاقة.

* ومنها الأمر الثاني: قول "الحمد لله"، والحمد لله تملأ الميزان.

* ومنها ثالثًا: حُسن الخلق، ما من شيءٍ أثقل في الميزان مِن خُلُقٍ حسَن.

* أيضًا الأمر الرابع: الكلمات الأربع التي قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنهُنّ: « بَخٍ بَخٍ! خَمْسٌ مَا أَثْقَلُهُنَّ فِي الْمِيْزَانِ: سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لله، وَلاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وَالله أَكْبَرُ»(١).

* أيضًا: «سُبحانَ اللهِ وبحَمدِه، سُبحانَ اللهِ العَظيمِ» التي جاءت في الحديث: «كَلِمَتانِ خَفيفَتانِ على اللِّسانِ»(٢).

فهذه جملة من الأعمال التي وُصفت بأنها ثقيلة في الميزان.

قد يأتي سؤال:

ما الهدف من الميزان؟ قد يُحكم بين الناس من غير وزن الأعمال، فلماذا توزَن الأعمال؟

ذكر العلماء حِكَم لذلك:

❑ **منها: تعريف العباد بأعمالهم:**

لا سيَّما دقائق الأعمال، فالإنسان ينسى، إذًا الأمر الأول هو تعريف العباد بما لهم من الجزاء والأعمال على وجه التفصيل.

الآن لو قيل للإنسان: أُذكر سيئاتك. ربما ما يذكر إلَّا الكبائر أو العظائم، وقد تخفى عليه الصغائر وكثير مما وقع فيه، فالميزان فيه تفصيل، يرى فيه الإنسان عمله منذ تكليفه إلى وفاته، سائر الأعمال التي عمِلَها في هذه الدنيا.

ولذلك الحسرات تكون في هذا اليوم ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[الكهف:٤٩]

❑ **الأمر الثاني من الحِكَم الذي ذكرها أهل العلم: إظهار عدل الله:**

وأنه الحكم العدل، وأنه لن يُظلم عنده أحد، ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[الأنبياء:٤٧]، لا يضيع عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شيء.

---

(١) أخرجه ابن حبان كما في ((موارد الظمآن)) للهيثمي (٢٣٢٨) واللفظ له، وأخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (٩٩٢٣)، والطبراني (٣٤٨/٢٢) (٨٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤).

✍ ولذلك يقال في الحساب للبعض: «هَلْ تَذْكُرُ شَيْئًا مِنْ حَسَنَاتِكَ؟» هذا من تمام عدل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

⇦ المخالفون في باب الميزان:

الفِرقة التي عُرفت بالمخالفة هي المعتزلة؛ المعتزلة قالوا: الميزان هو عبارةٌ عن العدل ولا يوجد ميزان حقيقي!

ثم قال الناظم بعد ذلك:

وقُـــلْ يُخْـــرِجُ اللهُ العَظيمُ بِفَضلِـــهِ مِن النارِ أجْســـادًا مِن الفَحْمِ تُطْرَحُ

عَلَى النَّهرِ في الفِردوسِ تَحْيا بِمَائِهِ كَحَبِّ حَميلِ السَّيْلِ إذْ جَاءَ يَطْفَحُ

هنا ذكر الناظم عقيدة أهل السُّنّة والجماعة في أهل الكبائر يوم القيامة.

⇦ وعقيدة أهل السُّنّة والجماعة في مرتكب الكبيرة إجمالًا يتلخَّص في أربعة أمور:

❍ الأمر الأول: أنَّ الكبائر والذنوب مُنقصةٌ للتوحيد والإيمان وصاحبها على خطر.

❍ الأمر الثاني: أن مُرتكب الكبيرة أو الذَّنب عمومًا لا يكفُر ولا يخرج عن دائرة الملَّة والدين؛ وإنما يُعدُّ مؤمنًا عاصيًا، يجمع فيه وصفين: وصف الإيمان والمعصية.

❍ الأمر الثالث: أنه في الآخرة تحت المشيئة؛ إن شاء عذَّبه أو عفا عنه، فالأمر إليه، يرجع إلى مشيئة الله وحِكمته.

يعني قد يأتي إنسان عاصي ويُدخله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الجنة من أول وهلة، فهذا يرجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إمَّا أن يُدخله الجنة أو يحاسبه بعدله.

❍ الأمر الرابع: أنَّ عذاب العاصي في الآخرة في النار عذابٌ مؤقَّت وليس عذابٌ مؤبَّد.

والناظم ذكر في هذين البيتين حال مُرتكب الكبيرة في يوم القيامة من العذاب في النَّار، ثم الخروج إلى الجنَّة، وهذا الخروج طبعًا بالشفاعة، وهذا مأخوذٌ من الحديث.

✍ جاء في حديث أبي سعيد الخدري: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً» هذا دليل ماذا؟ أن المؤمن العاصي يموت في النار، «حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ» يعني هذا يدل على شدَّة العذاب، اللهم أجِرنا من النار!

«حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ» -الضبائر: الجماعات- «ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ». قال: «فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»[1].

طبعًا في فرق بين الحَبَّة والحِبَّة: "الحَبَّة" بالفتح هو ما يؤكل، بذور ما يؤكل، وأما "الحِبَّة" فهو ما لا يؤكل من الحشائش والأزهار، لما ينزل المطر يخضَرّ المكان، هذه من "الحِبَّة"، إذا جاء الوادي والسيل ينبت هذا الأمر.

أيضًا جاء في الحديث: قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَخْرُجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاءِ -أَوِ الْحَيَاةِ، شَكَّ الرَّاوِي- فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ»[2].

يعني العاصي إذا دخل النار يتفحَّم، يحترق ويموت، ثم يؤتى به ويُلقى في نهر الحياة، فينبُت جسده حتى يكون أهلًا للصورة التي يدخل بها الجنة.

قال: **(وقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظِيمُ بِفَضلِهِ)** وهذا محض فضل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(مِن النارِ أجْسادًا مِن الفَحْمِ) يعني النار أهلكتهم وأماتتهم وأحرقتهم حتى أصبحوا فحمًا، **(تُطْرَح)** أي: تُلقى على النَّهر.

و **(كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ)** أي: ذكَرنا الحبوب التي تكون على أطراف الماء وتنبُت.

ولهؤلاء العصاة –عصاة أهل التوحيد وأهل القبلة– **تسميتان:**

- التسمية الأولى: يسمّون بـ "الجهنَّميين" نسبةً إلى المكان، نسبةً إلى جهنَّم.
- والتسمية الثانية: يُسمّون "عتقاء الرحمن".

وكلاهما قد جاء في النصوص الصحيحة، الأحاديث.

⇦ المخالفون في هذا الباب في حُكم مُرتكب الكبيرة في يوم القيامة فرقتان:

- الفرقة الأولى: هم الخوارج.
- والفرقة الثانية: هُم المعتزلة.

وكلاهما يقولان: أن مُرتكب الكبيرة مخلَّدٌ في النار.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥)، وابن ماجه (٤٣٠٩)، وأحمد (١١١٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤).

⇦ ومن توابع هذه الأبيات: إثبات ما يتعلَّق بالجنَّة والنَّار ونعيمها وعذاب النار.

قال:

وإنَّ رَسُـــولَ اللـــهِ للخَلـــقِ شَـافـــعٌ وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حـــقٌّ مُوَضَّـحُ

ذكر هنا الشَّفاعة، وأشار فيه إلى شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

⇦ الشفاعة على قسمين:

❍ **شفاعة باطلة:**

وهي التي يطلبها المشركون، والتي تكون في الدنيا أو في الآخرة، في الآخرة ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾[غافر:١٨].

❍ **النوع الثاني: الشفاعة المثبَتة:**

والتي لها شروط، منها: إِذْن الله للشَّافع، ورضاه عن الشَّافع، ورضاه عن المشفوع؛ هذه الشفاعة المثبتة لها ثلاثة شروط، وكل هذه الشروط جاءت في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**﴾[النجم:٢٦].

⇦ الشفعاء ثلاثة أنواع:

❍ الأنبياء.

❍ الملائكة.

❍ المؤمنون.

⇦ والمؤمنون يدخل فيهم ثلاثة أصناف:

❍ الشهداء.

❍ الأفراط؛ الأولاد الصغار.

❍ عموم المؤمنين.

والدَّليل: قد جاء في الحديث: «شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ»[1] .

وقوله هنا: (**للخَلْق**) أي: لجميع الخلق المسلم والكافر، والمراد هنا: الشفاعة العُظمى للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الذي يسمى المقام المحمود.

⇦ الشفاعات كثيرة، لكن الذي أُجمع عليه أنه من الشفاعات الخاصة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة:

- النوع الأول: شفاعته في أهل الموقف لفصل القضاء.
- النوع الثاني: شفاعته في عمّه أبي طالب ليخَفِّف عنه العذاب.
- النوع الثالث: شفاعته في فتح باب الجنَّة ليدخل أهلها.

هذه مُجمع عليها باختصاص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها، وأمَّا البقية وهي: الشفاعة في رفع درجات المؤمنين في الجنَّة، والشفاعة في دخول أقوامٍ الجنة بغير حساب، والشفاعة في أهل الكبائر في عدم دخول النَّار والشفاعة في الخروج من النار، وأيضًا الشفاعة في أهل الأعراف؛ هذه كلها أنواع من الشفاعات، قالوا: هي ليست خاصة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد يشترك مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غيرهم.

وحقيقة هذا الباب -باب الشفاعة- أنه محض تفضُّلٍ من الله وكرامة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ليس كما ظنَّ المبتدعة أنه رَدّ لقول الله أو قضاء الله أو حُكم الله عَزَّ وَجَلَّ.

⇦ المنحرفون في هذا الباب، في باب الشفاعة:

- الخوارج أنكروا بعض أنواع الشفاعة، لا سيَّما الشفاعة في مرتكب الكبيرة؛ لأنها تخالف عقيدتهم.
- أيضًا المعتزلة أنكروا جملةً من هذه الشفاعات.
- أيضًا من المخالفين: الصوفية؛ فإنهم أثبتوا شفاعات باطلة زائدة.

وفي مقام الشفاعة لما نتكلَّم عن الشفاعة نتذكر آية عظيمة ﴿**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**﴾[الزمر:٤٤] الشفاعة من الله إكرام للعبد، وهذه حقيقة؛ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي يحرِّك قلب الشَّافع، وهو الذي يأذن له، وهو الذي يأمُر به، ثم هو يأْذَن بهذه الشفاعة، فالشَّفاعة ترجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

✍ ولذلك قال ابن القيِّم: "شفَع الله من نفسه لنفسه ليُكرم العبد".

ابن القيِّم له كلام نفيس في [إغاثة اللهفان] في بيان هذه الحقيقة.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

نقف عند هذا القدر من التعليق، ونُكمل إن شاء الله في اللقاء القادم، نسأل الله أن يوفِّقنا وإيَّاكم للعلم النافع والعمل الصالح.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ

[الدرس الثامن والأخير]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ...

فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ...

فنستأنف شرح نظم [الحائية] لابن أبي داوُد، ونستذكر شيئًا مما أخذناه في اللقاء الماضي:

تعرَّضنا لمسائل الإيمان باليوم الآخر، تكلَّمنا على مُجمل الاعتقاد في مرحلة القبر، مَن يذكر لي مُجمل الاعتقاد في القبر؟

قول الناظم:

وإنَّ رَسُـــولَ اللـــهِ للخَلـــقِ شَـافـــعٌ وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حـــقٌّ مُوَضَّـحُ

⇦ **(عَذاب القبر)** العقيدة فيه إجمالًا يتلخَّص في ثلاثة مسائل:

❑ **الأمر الأول**: أنَّ عذاب القبر ونعيمه يقع على الرُّوح والبدن على حدٍّ سواء.

❑ **الأمر الثاني**: أنَّ عذاب القبر منه ما هو دائم ومنه ما هو مؤقَّت؛ قد يعذَّب الإنسان عذاب مؤقَّت في القبر، وقد يكون دائم إلى قيام الساعة.

❑ **المسألة الثالثة من المعتقَد في عذاب ونعيم القبر**: أنَّ عذاب القبر غيبٌ محض، لا يُعلم منه إلَّا ما جاء في النص.

ولذلك المسائل التي تُطرَق اليوم: سماع الأموات، وسماع العذاب؛ هذا يرجع فيه إلى هذا الأصل: أنه أمرٌ توقيفي يُرجع فيه إلى النَّص.

قال الناظم: **(وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ)**، في نسخة: "عقاب القبر"، والحق هنا هو الثابت: **(حقٌّ مُوَضَّحُ)**، **(حق)** يعني ثابت.

وعذاب القبر كما ذكرنا في المسائل:

- إمَّا عذاب مؤقَّت منقطع، وهذا في حق بعض الموحِّدين من مرتكبي الكبائر.
- والنوع الثاني: العذاب الدائم، وهو في حق الكافرين.

وقوله: **(موضحٌ)** أي: بيِّن وظاهر في الأدلة والنصوص.

(بالحقِّ موضحٌ)، في بعض النُّسخ من المنظومة "بالحق يوضح" بصيغة المضارع.

⇦ فعذاب القبر كما ذكر الناظم واضحٌ في الكتاب والسُّنة:

▲ فمن الأدلة المعروفة في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ ما ذكره الله في قوم فرعون: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[غافر:٤٦].

فالجزء الأول: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ هذا في القبر؛ لأنه قال بعدها: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ**﴾، فالعذاب قبل ذلك إنما ينطبق على عذاب القبر.

▲ **وأيضًا من الأدلة في السُّنّة:** الاستعاذات التي علَّمنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التشهُّد، الاستعاذات الأربعة، فإن منها الاستعاذة من عذاب القبر.

✍ ومن وصايا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا**»(١). وهذا نَصّ صريح في عذاب القبر.

✍ وفي حديث البراء الطويل أيضًا وصف لعذاب القبر: **النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ**: «**إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ**»(٢).

✍ وأيضًا في الحديث: "**أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَسَمِعَ صَوْتًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**إِنَّ يَهُودَ لَتُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**»(٣)".

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩١٢١) واللفظ له، ومسلم (٢٨٦٧)، وعبد بن حميد (٢٥٤)، والطحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) (٥٢٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨٩).

فهذه كلها نصوص صريحة على إثبات عذاب القبر.

⇦ وهناك من الأمور التي تُنجي الإنسان من هذا العذاب:

❍ منها: قراءة سورة "تبارك" من الليل.

❍ وأيضًا: الاستعاذة؛ أن يعوِّد المرء نفسه الاستعاذة من عذاب القبر.

المخالفون لأهل السُّنّة والجماعة في هذا الباب –في باب عذاب القبر ونعيمه:

١. الفرقة الأولى: هي الجهمية، الجهمية ينكرون عذاب القبر.

٢. المعتزلة يقولون: لا يوجد عذاب في القبر، وأنَّ هذا العذاب يكون يوم يقوم الناس. وهذا أيضًا فيه نوع إنكار لعذاب القبر.

٣. الخوارج الفِرقَة الثالثة، أغلب الخوارج يُنكرون عذاب القبر.

وقد سبق أن أشرت إلى قضية إنكار الخوارج لجملة من المسائل العَقَدية، كلها جاءت بعد مرحلة التحكيم، وقولهم بتكفير الصَّحابة بعد حادثة التحكيم.

ثم قال الناظم بعد ذلك:

ولا تُكْفِّرَنَّ أهْلَ الصَّـــلاةِ وإنْ عَصَـــــــوا فكلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العَرشِ يَصْفَـــحُ

هذه الأبيات تشتمل على حُكم مُرتكب الكبيرة، وهذه من أوائل المسائل التي نشَب فيها الخلاف بين الفِرَق: مسألة حُكم مرتكب الكبيرة ومسألة القدر.

فقال: (وَلَا تُكْفِرَنَّ).

✎ **الكُفر لغةً**: هو الستر والغطاء.

✎ **والكفر اصطلاحًا يُعرَّف بضده**، يقال: الكفر ضد الإيمان.

⇦ والكفر عند العلماء على قسمين:

❍ كفرٌ أكبر مخرجٌ من الملة.

❍ وكفرٌ أصغر.

⇦ والكفر الأكبر على ستة أنواع:

❍ هناك كفر العناد.

- وهناك كفر الجحود.
- وكفر النفاق.
- وكفر الشَّك.
- وكفر التكذيب.
- وكفر الاستكبار.

فهو ليس صنفًا واحدًا، وهذا مفيد للطالب، المعرفة الجملية لمعرفة الفِرَق التي خالفت وجعلت الكفر فقط في التكذيب، وهم غلاة الجهمية.

فهنا ذكر قال: **(ولا تُكْفِّرَنَّ أَهْلَ الصَّلاةِ)**.

✎ **(أهل الصَّلاة)** المقصود به: أهل الإسلام ممن لم يأتِ بمكَفِّر.

وذكَر **(الصَّلاة)** على أنها من أخَصّ العبادات، وجاء ذِكرها في الفارق بين المسلم وغيره في حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن صلى صلاتَنا، واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنا، وأكل ذبيحتَنا**»[1] فذلك هو المسلم في الحديث، لكن المقصود به عموم المسلمين، فقال: لا تُكفِّر المسلم.

قال: **(وإِنْ عَصَوا)**.

✎ **المعصية**: هي مخالفة الأمر الشرعي، والمعصية تقود إلى الفِسق.

✎ **والفِسق**: هو الخروج عن فِعل الواجبات وترك المحرَّمات.

فمن وقع في المحرَّمات أو ترَك الواجبات دخل في دائرة الفِسق.

✎ **والكبيرة** كما ذكر أهل العلم ضابطها: ما كان فيه حدٌّ في الدنيا أو وعيدٌ في الآخرة.

فالناظم يذكر هنا عقيدة مهمة جدًّا عند أهل السُّنة والجماعة: أنه لا يجوز تكفير مرتكب الكبيرة، إذا لم يأتِ بمكفِّر فلا يجوز تكفيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩١)، والنسائي (٤٩٩٧)، وأحمد (١٣٠٥٦).

ما الدليل على هذا؟

الأدلة كثيرة:

من أبرز هذه الأدلة: قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[التحريم:٨]، وهنا الخطاب للمطيع والعاصي، وقد خاطَبهم بلفظ الإيمان، أثبَت لهم الإيمان؛ هذا دليل أن مُرتكب الكبيرة ليس بكافر؛ لأنه ذكرنا أن الكفر هو ضد الإيمان، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أثبَت لهم وصف الإيمان.

وأيضًا من الأدلة: قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾[الحجرات:٩] فالقتال من كبائر الذنوب، ومع ذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سمَّاهم مؤمنين، فدلَّ على أن ارتكاب الكبائر لا يُخرج من الملَّة.

أيضًا من الأدلة: قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾[البقرة:١٧٨] في قصة القاتل وولي المقتول، فسمَّى القاتل أخًا لوليّ المقتول، والأُخوَّة هنا الأُخوَّة الدينية، فدلَّ على أن القتل وغيره من الكبائر لا يُخرج من الملَّة.

فهذا إذا قيل في القتل فغيره من باب أوْلى؛ يعني القتل من أشد الكبائر التي وردت فيها النصوص، و «الْمُؤْمِنُ لَا يَزَالُ فِي فُسْحَةٍ مَا لَمْ يَسْفِكْ دَمًا حَرَامًا»(١) كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أيضًا من الأدلَّة في السنَّة –وهي كثيرة– منها: قصة شارب الخمر، الذي أُتي به إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحدَّه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال رجلٌ من الصحابة: "**لَعَنَهُ اللَّهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»(٢)". فهذا يدل على أن رُغم أنه وقع في كبيرة، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أثبت له الإيمان فقط؛ هذا وصف أعلى: أنه يحب الله ورسوله؛ هذا فيه إثبات الإيمان وزيادة.

هذه المنظومة لما كانت مختصرَة، الناظم أشار إلى دليل، وهو حديث «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»(٣)؛ ولذلك قال: (**فكلُّهُمُ يَعْصِي**) وهذا استدلال جميل من الناظم، يعني يقول: ماذا يترتب؛ يقول: كل الناس يعصون، فلو قلنا: أن مُرتكب الكبيرة أو العاصي كافر، لن يبقى أحد فيه الإسلام على هذا المعتقد؛ لأن مِن صفة الإنسان أنه يقع في المعصية ثم يرجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ «لو لم تُذنِبوا لَذَهَبَ اللهُ بكُم، ولَجاءَ بقَومٍ يُذنِبونَ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وأحمد (١٣٠٤٩) واللفظ لهما، وابن ماجه (٤٢٥١)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

⇦ أقوال الفِرَق في الفاسق الملِّي:

تجدون هذه العبارة في كتب العقيدة "الفاسق الملِّي"، الفاسق من هذه الأُمَّة؛ يعني فاعل الكبيرة:

❑ **القول الأول**: هو قول الخوارج، الخوارج قالوا: أنَّ مُرتكب الكبيرة كافرٌ في الدنيا خالدٌ في جهنم يوم القيامة.

❑ **القول الثاني**: هو قول المعتزلة، المعتزلة قالوا: هو في الدنيا في منزلة بين المنزلتين. قالوا: كيف منزلة بين المنزلتين؟ قالوا: لا كافر ولا مؤمن، وفي يوم القيامة خالدٌ في جهنم.

فهم يتَّفقون مع الخوارج في الحكم الأُخروي؛ يعني الخوارج والمعتزلة يقولون: أن مُرتكب الكبيرة في يوم القيامة مخلَّد في النار، فالاختلاف بين المعتزلة والخوارج اختلافٌ اصطلاحي؛ لأن الثمرة واحدة، يعني في الدنيا الخوارج قالوا: كافر. المعتزلة قالوا: لا كافر ولا مؤمن. لكن النتيجة واحدة عندهم.

❑ **القول الثالث**: هو قول المرجئة، المرجئة قالوا: أنّ مُرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان.

والمرجئة عقيدتهم جاءت كردَّة فِعل للوعيدية –الوعيدية هم الخوارج والمعتزلة– فأرادوا أن يردُّوا على عقيدتهم، هم كفَّروا مرتكب الكبيرة، هؤلاء جاءوا على العكس؛ قالوا: لا، مؤمن كامل الإيمان.

وهذا يُعلِّم طالب العلم أن العقائد ما تُبنى على ردَّات الأفعال، العقائد تُبنى على الأدلة، على النصوص.

❑ **القول الرابع هو الذي قرَّره المصنف وهو قول أهل السُّنة والجماعة**: أن مرتكب الكبيرة مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته. أو عبارة أخرى: مؤمنٌ ناقص الإيمان.

هذا الوصف في الدنيا، وفي الآخرة تحت المشيئة، إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له، كما قررنا سابقًا.

– فالوعيدية الخوارج والمعتزلة يكفِّرون بالمعصية ويكفِّرون بالكبيرة.

– وهناك مَن يكفِّر ببعض صفات المعصية، فيقولون: لا نكفِّر بكل معصية:

* **بعضهم يقولون**: نكفِّر المداوم المستمر.

* **وبعضهم يقول**: نكفِّر المجاهِر، ليس كل مَن يفعل المعصية، لا، الذي يجاهر بالمعصية.

* **وبعضهم يقول**: نكفِّر الحارس للمعصية، الذي يحرُس المعصية ويؤيِّدها ويقوِّيها.

وهذه كلها عقائد خارجية، وهم يربطون بين مسألة فِعل المعصية.. يعني هذه الصفات قالوا: المستمر مستحِلّ، والمجاهر مستحِلّ. نقول: من أين أخذتم هذا الاستحلال؟! يكفي قصة شارب الخمر كان مستمر، ومع ذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبت له أنه يحب الله ورسوله.

ثم قال: (وذُو العَرشِ)، (ذُو العَرشِ) يعني: صاحب العرش، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذه الإضافة هي إضافة المخلوق لخالقه.

⇦ الإضافة إلى الله على قسمين:

❍ إضافة صفة لموصوف.

❍ وإضافة مخلوق لخالق.

يعني صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التي جاءت في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨] هذه إضافة صفات، إضافة العرش هنا؛ هذه من إضافة المخلوقات إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والعرش من أكبر المخلوقات، وهي سقف المخلوقات، وجاء لها أوصاف: أن لها قوائم، وأن لها حَمَلَة ثمانية من الملائكة.

فوصَف صاحب العرش -وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بأنه يصفح، يعني يتجاوز عن الذنب الذي يقع فيه، وهذا واضح في النصوص: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزمر:٥٣] فيه دلالة على عظمة صَفْح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

طبعًا إطلاق الصَّفح على الله؛ هذا من باب الخبر، يعني لم يأتِ فيه نص، والمعروف أن باب الأخبار عند العلماء أوسع من باب الصفات.

ثم قال:

ولا تَعتقِـــــــــــدْ رَأيَ الخَوارِجِ إنَّـــــــهُ مَقَالٌ لِمَنْ يهـــــواهُ يُرْدِي ويَفْضَــحُ

هذا البيت والذي بعده كله حول حُكم مرتكب الكبيرة، يعني يذكر الفِرَق المخالفة، يذكر أول شيء: الخوارج، ثم الذين يقابِلهم: المرجئة.

قال: (ولا تعتقِد رَأيَ الخوارج).

✎ (الخَوارج) جمع خارج.

⇦ ما سبب التسمية بالخوارج؟

⇦ قولان لأهل العلم:

✍ **القول الأول**: قالوا: لأنهم خرجوا على عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، وناصبوه العداء.

✍ **القول الثاني**: أنهم خرجوا على السُّنّة، ففارقوها في مسائلِ عِظام؛ كعدم الخروج على ولي الأمر وغيرها.

⇦ والخوارج غالب الخوارج يجمعهم صفتين:

❑ الصفة الأولى: التكفير بغير مكفِّر:

منذ زمن الصحابة كانوا يكفِّرون بغير مكفِّر.

❑ الأمر الثاني: سلّ السيف على أُمَّة محمد.

ولذلك قيل في الفِرَق: أنهم اختلفوا في الأسماء واجتمعوا في السيف -يعني في الخروج على هذه الأُمَّة.

فذكر هنا قال: **(ولا تَعتقِدْ رَأيَ الخَوارِجِ)** عمومًا، وخصوصًا في مسألة مرتكب الكبيرة.

قال: **(إنَّه مقالٌ)** وصفه بأنه مقال.

أهل السُّنة والجماعة يُطلقون على أرباب الفِرَق "أهل المقالات"؛ ولذلك تحصِّلون كتب تسمى كتب المقالات، كتب الفِرَق، كتب المقالات؛ يعني في وصف كتب أهل البدع.

قال: **(لمَن يهْواهُ)**.

✎ **الهوى المراد به:** الميل إلى خلاف الحق.

وهذا تعريف الحافظ ابن رجب: الميل إلى خلاف الحق.

وهذا الوصف وصف الخوارج وغيرهم بالهوى، قال: **(مقالٌ لمن يهواهُ)** وصف دقيق جدًّا، صفة جامعة للفِرَق، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرويات حديث الافتراق، أحد الروايات قال: «**سَتَفْتَرِقُ هذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الْأَهْوَاءِ**»[1]. هذه اللفظة حسَّنها الشيخ الألباني، فالجامع المشترك بين هذه الفِرَق: أنها تسير على الهوى.

قال: **(يُردي)** يعني قول الخوارج مُردي يوصل إلى الهلاك، ولا أردى من صنيعهم؛ فإنهم يتركون أهل الأوثان ويقتلون أهل الإسلام، ويؤذون أهل الإسلام عبر التاريخ، الخوارج صنعوا في أُمَّة الإسلام الصنائع الشنيعة، وأخَّروا دولة الإسلام في عهود التاريخ الكثيرة.

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٣٧) والسياق له، وأبو داود (٤٥٩٧)، والدارمي (٢٥٦٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١، ٢)، وصحّحه الحاكم (١/ ١٢٨).

قال: (ويَفضَحُ) يعني قولهم فيه مساوئ وعيوب ظاهرة بيِّنة.

⇦ ومن أعظم الأسباب التي تُنجي الإنسان من طريقة الخوارج: لزوم جادّة أهل العلم.

وهذا الذي فقَدَه الخوارج في العصر الأول؛ الخوارج كان الصحابة في زمانهم متوافرون ولكنهم لم يلتفتوا إلى الصحابة؛ بل اعتزلوا وتحزَّبوا ومرقوا، لم يسألوا الصحابة، لو رجعوا إليهم لهدُوهم سواء السبيل.

قال:

ولا تَـكُ مُرْجِيًّـــــا لَعُوبًـا بِـدِينِـــــهِ ألا إنَّمَا المُرْجِيُّ بـالـدِّينِ يَمْـــــزَحُ

الطرف المقابِل كما ذكرنا للخوارج هُم المرجئة، والمرجئة هؤلاء ميَّعوا الأمر الشرعي، والمرجئة ما وُجدت في عصر من عصور التاريخ إلَّا كان ذلك العصر مليئًا بالفواحش وانتشار المعاصي والمنكرات نتيجةً لمذهبهم الفاسد.

قال: (ولا تَـكُ مُرْجِيًّا).

✎ **الإرجاء في اللغة مأخوذ من التأخير**، وسبب التسمية: لأنهم أخرجوا الأعمال عن مسمَّى الإيمان، قالوا: الأعمال لا تدخل في الإيمان.

هذا معنى الإرجاء: الإرجاء بمعنى التأخير.

✎ **والقول الثاني لأهل العلم**: أنه من الرجاء، أن المرجئة غلوا في نصوص الرجاء، عكس الخوارج؛ غلوا في نصوص الخوف.

وصَفَهم قال: (لَعُوبًا بِدِينِهِ) المرجئ يلعب بالدين، لماذا؟ المرجئ ماذا يقول؟ يقول: لا يضر مع الإيمان ذنب، ما دام عندك الشهادتين افعل أي ذنب تكون تام الإيمان، وبالعكس؛ يكون إيمانك مثل إيمان أبو بكر وعمر. وهذا لعِب شديد بالدين.

يقولون –وهذه من اللطائف–: أن أحد المرجئة مرَّ على رجل يشرب الخمر، فشتمه هذا المخمور، الذي يشرب الخمر شتم هذا المرجئ، فقال هذا المرجئ: أهذا جزائي وقد جعلتك مؤمنًا كامل الإيمان؟! يعني يبرِّر له المعاصي.

فالمرجئة عندهم يكفي الشهادتين، يكون عندك الشهادتين والتصديق يكفي، ثم ما بعده من واجبات ومنهيَّات أنت غير مُلزَم فيها، ومن يفعلها ماذا نسميه؟ يقول: نسميه هُدى، تُقى، صلاح، خير، أي شيء، لكن ما نسميه إيمان، يُخرجونه عن مسمَّى الإيمان.

ولذلك عندهم الإيمان شيء نظري، عندهم أفسق خلق الله مثل جبريل! بسبب فساد مقولتهم، وجاءت على إثرها الطَّامة الشنيعة في المقابل؛ يعني مثل ما جعلوا الإيمان في التصديق، عكس ماذا؟ قالوا: الكفر فقط في التكذيب، كل الأفعال الثانية: فُلان يسجد لغير الله، فلان يذهب إلى القبور، شركيات، كلها لا تدخل عندهم في الكفر نتيجةً لهذه العقيدة الشنيعة.

قال: (ألا إنَّمَا المُرْجِيُّ).

⇦ المرجئة أقسام:

- **منهم: الجهمية**، الجهمية يقولون: الإيمان هو المعرفة فقط.
- **ومن طوائف المرجئة: الأشعرية والماتريدية**، وهؤلاء يقولون: أنَّ الإيمان هو التصديق فقط.
- **أيضًا من الفِرَق: الكُرَّامية**، يقولون: أن الإيمان هو قول اللسان فقط.
- **وعندنا مرجئة الفقهاء**، هؤلاء يقولون: الإيمان هو التصديق بالقول والقول باللسان.

فتجد أن هذه الفِرَق كلها خالفت أهل السُّنّة والجماعة، الإيمان -كما سوف يأتي معنا- مُرَكَّب ثلاثي: اعتقاد بالقلب، قول باللسان، عمل بالجوارح، فكل طائفة من هذه الطوائف خالفت في جزء، أخرجت أحد الأشياء من هذا المركَّب.

فقال: (يَمْزَحُ) يعني قول المرجئ وعقيدة المرجئ فيه مزح، وفي بعض النُّسخ: "يعبَث"، وفي بعض النُّسخ: "يمرح"، ففعلًا؛ لأنه يؤدي إلى ماذا؟ ترك الصلاة، وترك الزكاة، وفعل الزِّنا، وفِعل الرِّبا، والاستخفاف بالدين، هذا القول يؤدي إلى هذا الأمر.

يعني ممكن يأتي إلى العاصي ويقول: اثبت على معصيتك، أنت كامل الإيمان! مِن لوازم هذا القول الفاسد.

ثم قال:

وقُـــــــلْ إنَّما الإيمانُ قَـــوْلٌ ونيَّـــةٌ وفِعْلٌ عَلَى قَـــولِ النبيِّ مُصَـــرَّحُ

ويَنْقُصُ طَـــوْرًا بـالمعَاصِـــي وَتَـــارةً بطَـاعَتِـهِ يَنْمِي وفي الوَزنِ يَرْجَحُ

انتقل الناظم إلى ذكر عقيدة أهل السُّنة والجماعة في الإيمان:

⇦ مُجمل عقيدة أهل السُّنة والجماعة في الإيمان يتمثَّل في ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: أن الإيمان مكوَّن من الاعتقاد والقول والفعل، ثلاثة أشياء.

المسألة الثانية: أنَّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

المسألة الثالثة: أنَّ أهل الإيمان متفاضلون في الدرجات.

والناظم ذكر الأول والثاني، فذكر هنا عقيدة أهل السُّنة والجماعة: **أنَّ الإيمان يقوم على ثلاثة أركان:**

- اعتقاد القلب.
- وقول اللسان.
- وعمل الجوارح.

وهذا هو الإيمان الشرعي، وهو الذي جالَد عليه أهل السُّنة المرجئة، لا يمكن أن يُستثنى شيء من هذا التركيب الثلاثي، وقد جاء هذا في النصوص: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[1]. هذا الحديث جمَع الاعتقاد والقول والفِعل، اجتمعت في هذا الحديث.

فذكر هنا: (**وقُلْ إنَّما الإيمانُ**) يعني الإيمان يتكوَّن من هذه الأشياء.

⇦ (**قَولٌ**) وهو قول اللسان، **قول اللسان يدخل فيه أمرين:**

- أصلٌ، وهو الشهادتين.
- وفرعٌ، وهو ما دون الأذكار وبقية العبادات اللسانية.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥)، أخرجه البخاري في ((الأدب المفرد)) واللفظ له، وأبو داود (٤٦٧٦)، وابن ماجه (٥٧).

وبعض أهل العلم يُطلق القول على قول القلب.

⇦ الأمر الثاني: قال: النية **(ونيَّةٌ)**.

✎ **النيَّة المراد به:** الاعتقاد.

ويختلف في كتب العقائد؛ كتب العقائد لما يشرحون الإيمان أحيانًا يقولون: الإيمان اعتقاد، أحيانًا يقولون: الإيمان نيَّة، أحيانًا يقولون: الإيمان تصديق؛ كلها بنفس المعنى، بمعنى: الاعتقاد بالقلب، ترجع إلى الاعتقاد بالقلب.

⇦ قال: **(وفِعل)** هذا الأمر الثالث: فِعل الجوارح، فعل الجوارح يكون بفعل الطَّاعات واجتناب المحرَّمات.

ثم قال: **(وفِعْلٌ عَلَى قَولِ النبيِّ مُصَرَّحُ)** يعني هذه الأمور جاءت من قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ذكرنا في حديث «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً**» وغيرها من الأحاديث.

⇦ ثم وصف هذا الإيمان، الأمر الثاني في المعتقَد قال:

ويَنْقُصُ طَـــوْرًا بـالمعَاصِـــي وَتَـــارةً بطَـاعَتِـهِ يَنْمِي وفي الوَزنِ يَرْجَحُ

يعني الإيمان يزيد بالطَّاعة، فذكر الأمر الأول: أنه **(ينقصُ طورًا)** أي: حالًا، بعض المرَّات ينقص الإيمان، ما دليل النقصان؟

▲ قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»(١). وهذه المسألة ما تُلام عليها المرأة؛ لأنها مسألة فطرية، ففيه بيان نقص الإيمان.

▲ وأيضًا قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(٢). هذا يدل على أن الإيمان ينزل ويضعف.

▲ وأيضًا رؤيا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رؤية القُمُص؛ "**النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى القُمُص، رأى أناس من هذه الأُمَّة يلبسون القُمُص، بعضهم القميص إلى الثدي، وبعضهم دون ذلك**" -يعني قصير جدًّا- "ورأى عمر بن الخطاب لبِسَ قميصًا طويلًا، فسأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -الصحابي سأله- قال: بما أوَّلته؟ قال: «**بالدِّينِ**»(٣)" يعني الناس متفاوتين في الدين، وهذا يدل على أن الإيمان ينقص، يتفاوت فيه الناس **(بالمعَاصِي)**؛ يعني المعاصي سبب النقصان.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٢)، ومسلم (٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩)، وابن ماجة (٤٠١٣)، وأحمد (١١٤٦٠).

(٣) رواه البخاريّ (٢٣)، ومسلم (٢٣٩٠).

(وَتَارةً) أي نوبةً أخرى (بطَاعَتِهِ يَنْمِي)، في نسخة: "ينمو" يعني: يزيد، من: نما، ينمو، نُمُوًّا، فالإيمان يزيد وينقص.

والزيادة صريحة في القرآن؛ ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾[المدثر:٣١]، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[التوبة:١٢٤] والنصوص في الزيادة قال أهل العلم: هي دليل النقصان؛ لأن كل ما يزيد ينقص.

قال: (وفي الوَزْنِ يَرْجَحُ) أي: يثقُل ميزان حسناته، فالإيمان فيه زيادةٌ ونقص.

⇦ وأقوال الفِرَق المخالفة في مسألة الزيادة والنقصان قولان:

- القول الأول: أنه لا يزيد ولا ينقص، وهو قول الخوارج والمعتزلة.
- القول الثاني قول لبعض المرجئة: أنه يزيد ولا ينقص.

✍ ويقابلهم القول الوسط قول أهل السُّنة: أنَّ الإيمان يزيد وينقص.

ثم قال الناظم بعد ذلك:

وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم ... فَقَولُ رَسُولِ اللهِ أَوْلى وَأَشْرَحُ

وَلا تَكُ مِن قَوْمٍ تَلَهَّوْ بِدِينِهِم ... فَتَطْعَنَ في أَهلِ الحَدِيثِ وتَقْدَحُ

هنا بعد ما ذكر هذه العقائد، حذَّر من الآراء، قال: (ودَعْ عنكَ) أي: اجتنب واترك وذَر(آراءَ الرِّجال).

(آرَاء الرِّجال) أي: الأقوال التي ليس عليها دليل، وهذا ما جاء في الأثر عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، قال: "**إيَّاكُم وأصحاب الآراء؛ فإنَّهم أعداء السُّنن**".

وذِكر (الرِّجال) هنا لا مفهوم له، يعني سواء كان الرأي من الرجل أو المرأة إذا كان مصادم للنصوص فإن له نفس الحكم، لكن دائمًا يذكر الرجال؛ لأنهم الأكثر في هذا الجانب.

وما أجمل الأثر عن الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: "**عليكَ بالأثر وإن رفَضَك النَّاس، وإيَّاك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقولِ**"! فالإنسان يأخذ بالسُّنة والأثر ويترك الآراء التي لا دليل عليها.

قال: (فَقَولُ رَسُولِ اللهِ أَوْلى) يعني في التقديم والأخذ والتمسُّك به، لماذا؟ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصوم وكلامه يخرج من مشكاة النبوَّة.

وفي بعض النُّسخ: "فقول رسول الله أزْكى" يعني: أطهر وأخلص.

قال: **(وأشرحُ)** يعني: الأخذ بكلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا الذي يورث طمأنينة القلب وانشراحه؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصدق هذه الأُمَّة نُصحًا لهذه الأُمَّة وأكثرهم بيانًا لهذه الأُمَّة وأشفقهم على هذه الأُمَّة، كلام أهل المقالات والفِرَق والفلاسفة والمتكلمين ما تورث إلَّا الحيرة والشك والضياع، أمَّا كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعليه النور، ويجد الإنسان فيه السعادة.

ثم تأمَّل أنك تُسأل حينما تغادر هذه الدنيا في موضعين عن هذا الأمر: في قبرك ستسأل: «**مَن نبيُّك؟**»، وفي يوم القيامة ستُسأل: ﴿**مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ**﴾[القصص:٦٥]. فالسؤال كله عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لن تُسأل عن شيخك وعن الآراء المذهبية وعن الأقوال والأقيسة الفاسدة؛ وإنما ستُسأل عن كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وعن السُّنة الثابتة.

قال: **(وَلا تَكُ مِن قَوْمٍ)**.

القوم: هم الجماعة، والمراد به هنا: أهل الفِرَق والمقالات والفلاسفة وأصحاب المذاهب الرديئة.

(تَلَهَّوْ بِدِينِهِم) أي: تلاعبوا بالدين، أهل الفِرَق والمقالات لديهم تلاعب بالدين.

⇦ وأنا أذكر لكم أبرز خمسة صور للتلاعب، منها:

❑ **أولًا**: ردّ أحاديث الآحاد في العقائد، قالوا: نأخذ المتواتر ولا نأخذ الآحاد.

❑ **الأمر الثاني**: عدم التسليم لظواهر النصوص؛ لذلك حرَّفوا النصوص وأوَّلوها.

❑ **الثالث**: تقديم العقل على النقل، هذا من التلاعب، يأتيهم نقل نص صريح فيقدِّمون عليه العقل.

❑ **الرابع**: أخذ ما لهم وترك ما عليهم، أحيانًا تكون حُجَّة صريحة عليهم يتركونها، فيأخذون من النصوص ما يؤيد طريقتهم.

❑ **الخامس**: التمسُّك بالمجملات والمتشابهات والبُعد عن المحكمات والتفصيلات؛ هذا شأن أهل الزيغ كما وصفهم الله عَزَّ وَجَلَّ، يتمسَّكون بالمتشابه، يتَّبعون المتشابه.

قال: **(فَتَطْعَنَ فِي أَهَلِ الحَدِيثِ)**، **(أهلُ الحدِيث)** هم: أهل السُّنة، أهل الأثر، أسماء مختلفة، سمُّوا **(أهل الحديث)**؛ لتمسُّكهم بحديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعملهم بحديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخذوا شرف هذا الاسم بسبب التعلُّق بسُنَّة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهُم الفِرقة الناجية، الطائفة المنصورة.

لذلك لما سُئل الإمام أحمد عن حديث «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ»[1] أهم أهل الحديث؟ قال: "إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هُم".

قال: (وتقدحُ) أهل البدع يقدحون في رواة الحديث ويقدحون في علماء الحديث، ومن علامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر.

⇦ ثم ختم الناظم بقوله:

إذا مَا اعتقـــــدْتَ الدَّهْرَ يا صَـــاحِ هذِه فَأَنْـــتَ عَلـــى خَيْـــرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ

لما أنهى الناظم هذه المنظومة التي جمع فيها عقيدة أهل السُّنة والجماعة، ختم بهذا البيت؛ ليؤكِّد على أهمية هذا المعتقَد، (إذا مَا اعتقدْتَ) ذكرنا معنى الاعتقاد سابقًا.

(إذا مَا اعتقدْتَ الدَّهْرَ) يعني في الزمان الطويل تمسَّكت وسِرت على هذه العقيدة.

(يا صاحِ) يعني: يا صاحبي، هذا يسمى في اللغة ترخيم، يعني رُخِّم هذا الاسم لضرورة الشعر، بدل أن يقول "يا صاحبي" قال: (يا صاحِ)، هذه إشارة إلى هذه العقيدة الأثرية المبنيَّة على النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والسُّنة النبوية والآثار السلفية.

قال: (فَأَنْتَ عَلى خَيْرٍ) الخير كلمة جامعة لكل ما يُنتفع به.

قال: (تبيتُ وتُصبح).

البيتوتة: النوم بالليل.

والصباح –معلوم– يعني: الإنسان يكون على هذه العقيدة، وهي بشارة خير لمن تمسَّك بهذه العقيدة، ليس لأنه من كلام المصنف؛ لأنه مأخوذ من كلام الله عَزَّ وَجَلَّ ومن كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا البيت أيضًا فيه الدعوة إلى الثبات؛ أنَّ الإنسان يثبت على هذه العقيدة ويحذَر من التلوُّن والتنقُّل كما هو حال أهل الزيغ من كثرة التنقُّل، لا سيَّما في هذا الزمان، فالله الله في الاعتقاد! يحرص الإنسان على دراسته وحِفظه وتعلُّمه خاصةً في مثل هذا الزمان الذي كثُرت فيه المشوّشات عبر وسائل التواصل وكثُرت النواقض والنواقص التي تؤثر على المعتقدات، فالطالب يحرص، والسلامة لا يعدلها شيء، يسأل الله الثبات ويتعلَّم هذه العقيدة، ويسأل الله أن يحييه ويميته على هذه العقيدة.

إلى هنا نأتي إلى ختام التعليق على هذه المنظومة، نسأل الله أن يوفِّقنا وإيَّاكم، ويرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

---

(١) رواه البخاريّ (٧٣١١) واللفظ له، ومسلم (١٩٢١).

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة (أهمية العقيدة والتوحيد)	٣
ترجمة الناظم (الإمام ابن أبي داود السجستاني)	٤
اسمه، مولده، ونشأته العلمية	٤
شيوخه وتلاميذه ومكانته بين العلماء	٥
عقيدته ومؤلفاته ووفاته	٧
التعريف بالمنظومة (الحائية)	٩
شرح البيت الأول: التمسك بحبل الله واتباع الهدى	١٠
شرح البيت الثاني: التحذير من البدع وأهلها	١٥
شرح البيت الثالث: التمسك بالكتاب والسنن الثابتة	١٩
شرح البيت الرابع: القول في القرآن الكريم (كلام الله)	٢٤
شرح البيت الخامس: الرد على من قال بخلق القرآن	٢٨
شرح البيت السادس: إثبات رؤية الله عز وجل في الآخرة	٣٢
شرح البيت السابع: إثبات صفة النزول الإلهي	٣٦
شرح البيت الثامن: إثبات صفة اليدين لله عز وجل	٤٠
شرح البيت التاسع: الإيمان بالحوض وورود	٤٤

الموضوع	رقم الصفحة
شرح البيت العاشر: الإيمان بالميزان	٤٨
شرح البيت الحادي عشر: الإيمان بالشفاعة وخروج الموحدين من النار	٥٢
شرح البيت الثاني عشر: الإيمان بالقدر (خيره وشره)	٥٦
شرح البيت الثالث عشر: الإيمان بعذاب القبر (منكر ونكير)	٦١
شرح البيت الرابع عشر: فضائل الصحابة رضي الله عنهم	٦٦
شرح البيت الخامس عشر: فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما	٧١
شرح البيت السادس عشر: فضل عثمان وعلي رضي الله عنهما	٧٥
شرح البيت السابع عشر: الكف عما شجر بين الصحابة	٧٩
شرح البيت الثامن عشر: فضل آل البيت وأمهات المؤمنين	٨٤
شرح البيت التاسع عشر: عقيدة أهل الحديث والتحذير من المراء	٨٩
الخاتمة: الوصية بالتمسك بهذا المعتقد	٩٣